الشعلة

تأليف

هنري كيستماكرز

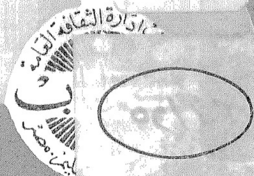
ترجمة

الدكتور عبد السلام الجندى

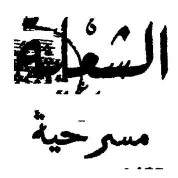
مراجعة

الدكتور محمد محمد القصاص





الألف كتاب (١٣٤)



باشراف إدارة الثقافة العامة
بوزارة التربية والتعليم بمصر

مؤلف الشعلة

مؤلف مسرحية الشعلة هو الكاتب الكبير والمؤلف المسرحى الرائع المسيو هنرى كيستما كرز ! وهو من الكتاب الذائعى الصيت الذين ترجمت أغلب مؤلفاتهم إلى أكثر اللغات العالمية .

ومما نشرته له مجلة الالستراسيون من المسرحيات ما يأتى : الجرح الغزيزة . تاجر الهناءة . الكمين . المغنية . الغرب . المارة . ملك الفنادق (البالاس) المستعبدة . الهائمة على وجهها . الحب . الليل لنا . الخ .

أما الشعلة فقد نشرتها مجلة الالستراسيون فى ١٩ إبريل سنة ١٩١٣ فهى بالنسبة لمؤلفها من الآثار الخالدة بين مئات من منتجات الأدبية ، وهى الزاوية التى لا يمكن لإنسان أن يجد فيها عيباً أو ثغرة فى بنائها وتسلسل حوادثها أو دقة حبكتها المسرحية . الأمر المدهش من مؤلف فى ربيع حياته وإنتاجه الذى لم يصل إليه كثير غيره إلا بعد مران ووقت طويل .

لقد كان كيستما كرز معتاداً مدة خمس عشرة سنة أن يمضى الصيف بالقرب من مدينة بحرية عسكرية وجد فى جوها وفيمن فيها من أنزه وأشرف الضباط شيئاً مما جاء فى الشعلة . ومما سيراه القراء الكرام ويحكمون به على حسن اختيارها .

لقد أثارت هذه المسرحية حتى قبل ظهورها أمام الناس ضجة استحسان وعدة مقالات جعلت كبار أرباب المراسح فى انجلترا وأمريكا ثم ألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا يحصلون على امتياز تمثيلها فى بلادهم ، مثلث لأول مرة على مرسح البورت سان مارتان فى ٧ ديسمبر ١٩١١

الألف كتاب (١٣٤)

الشعلة

مسرحية

(ذات ثلاثة فصول)

تأليف

هنرى كيستماكرز

تعريب
الدكتور محمد عبد السلام الجندى

مراجعة
الدكتور محمد محمد القصاص
أستاذ مساعد بكلية الآداب
جامعة عين شمس

نشرته
مكتبة نهضة مصر ومطبعتها
الفجالة القاهرة

١٩٥٧

هذه ترجمة لكتاب :

LA FLAMBÉE

HENRI KISTMAECKERS

PUBLIEE PAR
l'LLUSTRATION

LE 16 MARS 1912

الممثلون

(رجال)

الكولونيل بيير فيلت
مارسيل بوكور
الكونت برتران دي موريه
مونسينيور جوسي
يوليوس جلوجو
البارون ستيتن (أعطى له في هذه الترجمة اسم البارون مارشان)
النائب العمومي (رئيس النيابة)   عمدة ميجر
قاضي التحقيق   جوستان(خادم قديم عند مارشان)
خفير المزرعة (حارس المزرعة)   برتو (مراسلة الكولونيل)
الطبيب الشرعي   الكاتب

(سيدات)

مونيك فيلت (أعطى لها في هذه الترجمة اسم بياتريس فيلت)
إيفون ستيتن (أعطى لها في هذه الترجمة اسم إيفون مارشان)
تيريز دنيو
آنيت (خادمة بياتريس الخاصة)

مثلت لأول مرة على مسرح البورت سان مارتان
باريس في تاريخ ٧ ديسمبر ١٩١١

الفصل الأول

فى قصر البارون مارشان ، القائم على القمة الرئيسية المشرفة على وادى فوسيل بالجورا . صالون فاخر مقام فى قاعة الحرس السابقة ، ويتصل بواسطة أبواب واسعة من اليسار بما يشبه أن يكون حديقة شتوية وبصالون صغير للعب ، ومن جهة اليمين ببعض منافذ القصر ، ومن الوسط يتصل بالدور العلوى بوساطة سلم فى شكل برج صغير ، وفى مواجهة المتفرجين باب يطل على شرفة تشرف على الطريق والوادى بأسره . الوقت نهاية سبتمبر الساعة العاشرة مساء ، الليلة دافئة صافية السماء ، مما سمح بترك باب الشرفة مفتوحا . وتلمح على بعد مجموعة من الأضواء الخافتة ، منبعثة من مدينة سان كلود الصغيرة التى تبدو فى أسفل الوادى محاطة بالليل .

المنظر الأول

بييرفيلت — بياتريس فيلت — البارون مارشان — ايفون مارشان — يوليوس جلوجو ، مارسيل بوكور ، تيريز دنيو ، ثم جوستان .

حينما ترفع الستار لا تكون القاعة مضاءة بغير الشموع الموضوعة على البيانو ، الذى تلعب عليه تيريز دنيو بعض قطع الفالس البطىء بصوت خافت . وحولها أسرة مارشان وجلوجو ينصتون . بييرفيلت يتكىء على منصة باب الشرفة وهو يستنشق نسيم الليل . وتجلس بياتريس فوق أريكة على اليمين ، ويقف خلفها مارسيل بوكور واضعاً يده على مسند الأريكة .

٣

بوكور : ما أجمل هذه الظلمة الرقيقة ! إنها تتيح لنا أن نتبادل بضع كلمات . يبدو عليك التعب ، هذا المساء يابياتريس .

بياتريس : فى الواقع أنى متعبة بعض الشىء . إنها سكك حديد الجورا الضيقة التى كأنها لا تسير إلا على كره منها ، وكثرة التنقل من قطار إلى قطار ، والإنتظار الذى لا ينتهى فى المحطات الصغيرة المقفرة . كل هذا قد هد كيانى ثم . . . .

مارشان : (بتأثر وابتهاج لتيريز) أوه ! رائع ! رائع ! فالس آخر ، أرجوك فالس آخر .

بوكور : ثم ماذا ؟

بياتريس : ثم أفكر فى صغيرى العزيز الذى ذهبت به إلى ساربورج .

بوكور : هذا ما فكرت فيه . . . أبدأت تتوقين إليه منذ الآن ؟

بياتريس : قليلا .

بوكور : (بنفاد صبر) إذن كان عليك أن تستبقيه بجانبك .

بياتريس : ياله من أسلوب !

بوكور : أترينى أسأت التعبير ؟

بياتريس : وأية إساءة !

بوكور : أوه !

بياتريس : هذا ما بدا لى .

بوكور : وعلى كل حال . . .

بياتريس : ماذا ؟

بوكور : خاطر جرى به اللسان . . . فلعلى تكلمت عن ابنك على غير شعور منى بشىء من الخشونة ، بشىء من الغيرة .

(فى هذه اللحظة يمر التيار الكهربائى فى مصابيح نجفة خافتة الضوء .)

الجميع : آه !

بوكور : (بشىء من الحسرة ، ومعهم فى نفس الوقت) آوه !

(تترك تيريز البيانو ويتفرق الجميع ، ويدخل الخادم جوستان حاملا الشاى .)

إيفون : هل انتهى إصلاح الجهاز الكهربائى ياجوستان ؟

جوستان : نعم ياسيدتى البارونة . ولكن سائق السيارة يقول أن الدينامو محترق ، ولما كان انحدار الماء قدأصبح الآن بطيئاً فمن اللازم إصلاح الآلة إصلاحاً تاماً ، وإلا انطفأ النور مرة ثانية . ولذلك فقد أعددت الشموع .

إيفون : السائق ! أهو إذن لم يذهب بالعربة لاستقبال مونسينيور جومى ؟

جوستان : بلى ياسيدتى البارونة ، لقد ذهب .

إيفون : (لتيريز) هل لك أن تساعدينى ياعزيزتى فى تقديم الشاى ؟

(تسرع تيريز لإجابة الطلب ، يخرج جوستان) .

مارشان : (لجلوجو) هل لك فى دور باتشكا ياجلوجو ؟

جلوجو : نعم . . . نعم . . . هيا بنا .

(مارسيل بوكور يعود إلى الاقتراب من بياتريس بعد أن كان قد ابتعد عنها قليلا .)

بياتريس : ألم تكن تمزح ؟

بوكور : فى أى شىء ؟

بياتريس : فيما قلت لى من أنك تغار من ولدى ؟

بوكور : بلى . كنت أمزح . . فأريحى إذن عينيك المسكينتين مما يبدو فيهما من قلق والآن أصدقينى الخبر ، لماذا افترقت عن روبير ؟

بياتريس : أوه ! افترقت ! إنه سيمكث فى اللورين شهراً . والشهر لا يعتبر فراقا .

بوكور : هذا يتوقف . . . .

بياتريس : نعم ! إنه فراق ، فلماذا الإنكار ؟ . . . وإنى أشعر بشىء من الحزن ولكن لم يكن من ذلك بد .

بوكور : ولكن أعيد عليك السؤال مرة أخرى . لماذا لم يكن من ذلك بد ؟

بياتريس : لأسباب كثيرة . .

بوكور : أسباب غامضة ؟ . .

بياتريس : نعم غامضة بعض الشىء ، ولكنها جديرة بالإعتبار .

بوكور : وما هى ؟

تيريز : (تقبل حاملة فنجانا من الشاى) قليلا من الشاى ياسيدتى ؟

بياتريس : (ترفض بإشارة من يدها) شكراً .

تيريز : (لبوكور) وأنت ياسيدى ؟

بوكور : أشكرك ياسيدتى لا أستطيع الآن (تيريز تبتعد) ما هذه الأسباب ؟

بياتريس : أولا أنت تعلم أن مضيفينا لطاف المعشر ولكن ليس لهم أولاد . . .

بوكور : وما معنى هذا ؟

بياتريس : معنى هذا أنهم لا يستطيعون تحمل أولاد الآخرين ، وأنا أفهم هذا جيداً لا سيما وأن عزيزى روبير فى سن لا تطاق فيها شقاوة الصبيان مهما حسنت تربيتهم .

بوكور : (ببساطة) هذا حق .

بياتريس : هذا حق ؟

بوكور : (باقتناع) عين الحق .

بياتريس : ولكن ألا ترى أنى قد قسوت فى الحكم على ولدى بعض الشىء ؟

بوكور : (بلهفة) بلى ، بلى ! فإن روبير على جانب عظيم من الرقة واللطف .

بياتريس : أنا لا أتكلم عن اللطف والرقة فإن الطفل لا يكون رقيقاً ولما يتجاوز السادسة من عمره . . .

بوكور : فى هذه السن ، يخلو من اللطف خلواً تاماً .
بياتريس : كيف ذلك ؟
بوكور : (بتلهف) نعم ، نعم ! ينطوى على الكثير منه ... ولكنه لطف من نوع خاص يتمثل فى ... فى ...
تيريز : (تدنو منهما وفى يدها بعض الشراب — لبوكور) وهل لك فى كأس من شراب الشرتريز ياسيدى بوكور ألا يروقك هذا ؟
بوكور : لا أظن ياسيدتى ، ولكنك جئت فى الوقت المناسب لإخراجى من الورطة التى أنا فيها لكى تخبرينى لأنى لا أستطيع أن أتذكر فيم يتمثل اللطف الخاص بالصبية الصغار ؟
تيريز : (بدهشة) أأنت مجنون ؟
بوكور : حينما يكونون فى السادسة من عمرهم ؟
تيريز : آه ! فهمت !
بوكور : عجلى بالجواب !
تيريز : أما من جهتى فإنى لا أدرى ... أنه يتمثل فى أنهم يقفزون بأحذيتهم الملأى بالتراب على أرائك الاوبيسون وفى تكسير الزهريات الصينى الأثرية ، وأن يعيدوا أمام أصدقائك ما نقوله عنهم فى الخفاء .
بوكور : هذه هى الحقيقة .

بياتريس : (للمارسيل) أوه ! هـــذا غير صحيح ... لم يحدث قط أن روبير ..

بوكور : (لتيريز) زوبيز هذا هو ابن مدام فيلت .

تيريز : عفواً ياسيدتى إنى فى غاية الخجل ، كنت أجهل ...

بياتريس : لا داعى للإعتـــذار ياسيدتى ، فليس فى المسـألة ما يدعو لذلك .

تيريز : أوه ! بلى كان يلزمنى أن أعرف .... أن أستعلم .... أنى سيئة الحظ ! فإنى لم أصل إلى القصر إلا هـذا الصباح ، ومع ذلك فهذه هى الهفوة الثالثة التى هفوتها اليوم

بوكور : هذه لا تحسب إلا نصف هفوة لأنى شاركتك فيهـا ، ولا يزال لك الحق هذه الليلة فى النصف الثانى .

تيريز : تأكدى ياسيدتى أنى لو كنت افترضت ...

بوكور : افترضى دائمـا ولا تجزمى بشىء .

تيريز : أنا لا أجزم بشىء . ولـكن ضع نفسك مكانى ياسيدى ، إنى تشرفت بمعرفة مدام فيلت للمرة الأولى بعد ظهر اليوم ، والآن نحن فى الساعة العاشرة مساء ولم ألمح حتى الآن ظل طفل معها .

بياتريس : لأنى تركته فى « اللورين » عند قريبة عجوز لزوجى ليقضى هناك بضعة أسابيع .

تيريز : دون أمه ؟

بياتريس : إنه لا يستحق منا كل هذا الرثاء . . . فقد تركته فى غاية الابتهاج ، لم يذرف دمعة واحدة . إن الجحود من شيم هؤلاء الشياطين الصغار .

تيريز : كالرجال وهم فى أى سن كانوا !

بياتريس : أنا أعرف أن عمته ستدلله وتحنو عليه فيتمتع بكل مايشتهى.

بوكور : وأنه سيقفز ما شاء على أرائك الأوبيسون .

بياتريس : لا سيما وأنه لا يوجد هناك أرائك من الأوبيسون .

بوكور : (ساخراً) ياللصغير المسكين !

تيريز : نعم وبكل تأكيد ياللصغير المســـكين ! أنا لا أشك ياسيدتى أنه ملاك لطيف (لبوكور) أما أنت فإنى أحتجزك !

بوكور : للهفوة التالية ؟

تيريز : نعم لذلك ، إذا لم تكن صالحاً لشىء آخر (وتبتعد)

بياتريس : أود أن أعرف من تكون هـذه السيدة تيريز على وجه التحديد !

بوكور : إنها على وجه التحديد أرملة فى ريعان الشباب ، وفى غاية السذاجة ، ولا تطلب إلا أن تظل شابة ، لا يهمها فى الدنيا شىء سوى أن يبقى لها شبابها بل وسذاجتها .

بياتريس : ولكنها لاتود أن تظل أرملة؟

بوكور : بالضبط ولما كان لها الكثير من المعارف . . .

بياتريس : (مبتسمة) فهى تدعى دائماً فى القصور ؟

بوكور : وتقضى يومها فى تقديم بعض الأشياء إلى العزاب . هذا هو عملها الوحيد بعد السكر أو شراب الشرتريز أو السيجار . . .

بياتريس : حبذا لو لم تقدم شيئا غير هذا إنها جميلة جداً ، وأنك يا بوكور محط آمالها .

بوكور : أظن أنى لست الشخص الوحيد الذى يشغلها فإنها منذ حضرت إلى هنا فى الصباح قبل مجيئك بنحو ساعتين ، وهى تتوسم الوجوه وتحجم الأعواد فقلبها يتردد بين المالى «جلوجو» والكونت «موريه» والنائب «بوكور» ، ولكنى أظن أنها قد فطنت إلى أنه يجب عليها إخراج النائب بوكور من حسابها .

بياتريس : فى الواقع ، إذ أنك لا تسلك معها سبيل اللياقة والمجاملة

بوكور : إننى معها على أقصى ما أكون من الحذر ، ومع ذلك فها أنا ذاهب للقائها .

بياتريس : أتتركنى ؟

بوكور : من باب الحذر . أنصتى .. التفتى ... التفتى ليس الآن بل بعد لحظة ، وانظرى بعينيك إلى ناحية الكولونيل فى الخفاء واخبرينى بما تلاحظين عليه .

بياتريس : على زوجى ؟

بوكور : على نظراته .

بياتريس : وماذا تلاحظ أنت على نظراته ؟

بوكور : حدة غريبة حينما يلقى بها علينا . وكثيراً مايوجهها نحونا

بياتريس : (بدون اكتراث) ما هذه التصورات ؟

بوكور : هذا مما لا شك فيه ، فإنى منذ زمن أحس إحساساً واضحاً بأنه يراقبنا . . إحساساً واضحاً جداً ، بل رأيته منه ما هو أعظم من ذلك ، وهو أنى كلما انفردت به فى مكان أثناء غيابك فى الأيام الثلاثة الماضية ، خيل إلى أنى أرى على وجهه ذلك القلق المبهم الذى يسبق العاصفة وأنه لابد سيتكلم .. وأن الأمر وشيك الوقوع

بياتريس : ولكنه لاذ بالصمت ؟

بوكور : ولكنه لاذ بالصمت .

بياتريس : إذن تأكد أنك واهم فى ظنك فلو كان لديه شىء يود أن يقوله لك لقاله لك دون تردد ، وبتلك الدقـة الحسابية القاتلة التى يعرف كيف يحيط بها كل مايفعل وكل ما يقول ، وبهذه الثقة فى استعلائه على كل من يراه ، هذه الثقة الوقحة التى لا تفارقه مطلقا .

بوكور : لا . لا يا بياتريس إنى لست واهما قط ، والدليل على ذلك . . .

بياتريس : انتبه !

بوكور : هى أيضاً ؟

بياتريس : هى دائما .

بوكور : (متضجراً) إن هذا لشنيع !

تيريز : أتريد سيجاراً ياسيدى بوكور ؟

بوكور : ما أطيب قلبك ياسيدتى !! كنت أنتظر هذا السيجار بفارغ الصبر .

تيريز : سيجار ضخم ؟ سيجار صغير ؟ اختر .

بوكور : أشكرك كثيراً ياسيدتى ، إنى لا أدخن السيجار قط ولكن لابد لى من الاعتراف بأنك بمثابة أم ! بمثابة أم .

إيفون : بوكور !

بوكور : سيدتى ؟

إيفون : أدركنا ! . . . فإن لعبة الباتشكة هذه كادت تذهب بعقولنا

بوكور : اثبتى ! اثبتى ! هأنذا !

(يبتعد بوكور)

تيريز : (تهوى بجسمها إلى جانب بياتريس) آه . . . ماأسوأ حظى !!

بياتريس : ماذا أصابك ؟

تيريز : لقد لازمنى الحزن مرة أخرى ، أليس كذلك ؟

بياتريس : كلا . . . كلا . . . .

تيريز : بلى ياسيدتى . بلى ! لا تحاولى أن تخفى عنى شيئا ، هل وقع للسيد بوكور فى حياته حادث خطير منعـــه

من تدخين السيجار ؟

بياتريس : لاأظن ذلك . . لمـاذا ؟

تيريز : لمـاذا ! ! ألم ترى النظرات الشزراء التى ألقاها على ؟

بياتريس : أتتوهمين ذلك ؟

تيريز : أنا لا أتوهم . فقد رأيت بعينى . ومما يزيد فى حزنى أنى أشعر نحو السيد بوكور بانعطاف شديد .

بياتريس : وثقى أنه يبادلك هذا الاستلطاف .

تيريز : أليس هو ذاته المحامى الباريسى الشهير «مارسيل بوكور» ؟

بياتريس : هو بعينه .

تيريز : والنائب ؟

بياتريس : نعم نائب الجورا .

تيريز : مقاطعتنا هذه ؟

بياتريس : نعم ، بل ونحن فى دائرته نفسها ، دائرة سان كلود .

تيريز : ألم يكن مرشحاً لمركز الوزارة ؟

بياتريس : بل كان وزيراً بالفعـــل ، ولم يتول وزارة حقانيتنا من هو أصغر منه سنا .

تيريز : فهو إذن من أصحاب الجاه والنفوذ ؟

بياتريس : وهو موضع إعجاب الجميع .

تيريز : ويقولون عنه أنه ذو كفاءة ممتازة .

بياتريس : نعم ، وهو فوق ما يقولون .

تيريز : هل هو من ذوى الثراء ؟

بياتريس : أنا أعرف أنه من ذوى المجد ، لأن المجد من الأمور التى يصعب إخفاؤها . أماعن ثروتهفيمكنك أن تسألى عنها أحد رجال المال . . . اسألى السيد جلوجو ، ذلك الرجل الحليق العارضين الجالس أمامك .

تيريز : إنى أعرفه ياسيدتى . وأرجو أن تعذرينى إذا أثقلت عليك بطلب هذه التفاصيل .

بياتريس : عفواً ياسيدتى .

تيريز : ذلك لكى أتجنب الوقوع فى الهفوات ، الخلاصة أنه محام ونائب ومرشح للوزارة ومن أرباب الكفايات الممتازة ، وإذن لا ينبغى التلفظ أمامه بشرّ عن . . .

بياتريس : عن أى شخص فإنه سمح السجايا . وفى غاية الاستقامة .

تيريز : عن أى شخص ! إذن يكون مجال الحديث معه ضيقاً وبخاصة بالنسبة لى أنا التى لا أفهم شيئاً فى الموضوعات السياسية .

بياتريس : وهو أيضاً مثلك .

تيريز : ماذا تعنين ؟

بياتريس : أقول أنه ذو خلق كريم مجسم .

تيريز : أرى إنك تحترمينه كثيرا ؟

بياتريس : كثيراً جدا .

تيريز : هذا جميل منك ياسيدتى !
بياتريس : بل طبيعى ، وستعرفين سبب ذلك عن قريب .
مارشان : أين صندوق السيجار؟ من الذى رأى صندوق السيجار؟
بياتريس : هاهو ذا ! (تأخذ علبة السيجار من يد تيريز) هل تسمحين؟
تيريز : تفضلى .
مارشان : ألف شكر لك يا سيدتى العزيزة ظننت أن موريه قد أخذها كما هى عادته .
ايفون : لقد ذكرتنى بموريه . فأين هو ؟
جلوجو : حقيقة أنى لا أراه هنا . فأين ذهب ؟
بياتريس : لقد اختفى بعد العشاء مباشرة .
مارشان : فيلت ألم تر المسيو موريه سمير الجمعية وأنيسها ؟
فيلت : لم أره وهو غير موجود فى الردهة .
مارشان : (مناديا) موريه !... موريه .
الجميع : موريه !

المنظر الثالث

نفس الأشخاص وموريه يدخل لابسا حلة أحد ركاب الموتوسيكل وبيده حزمة من الخطابات والجرائد

موريه : ها أنذا !
ايفون : ما هذا المنظر الغريب ؟
موريه : (يبدو عليه السخط) هذا المنظر الغريب ! هـــذا

المنظر الغريب !..

الجميع : (بشعور مختلف ، أوه .

مارشان : (لموريه) هل جننت ؟

موريه : (بيأس وترفع) أنى أرثى للحالة التى وصلت إليها الإنسانية ! انكم لن تفهموا أبدا معنى الجمال !

جلوجو : أترى نفسك جميلا فى هذا المنظر ؟

موريه : أجمل منك بكثير .

جلوجو : (متهكما) وهذ رأيى أيضا .

موريه : بل هو رأى الجميع ، أليس كذلك أيتها السيدات ؟ اسمعت يا جلوجو ؟ أما هذه الملابس التى تظنون أنها غريبة فهى فى غاية السمو والجمال، لأن العلم يشتغل منذ عشر سنوات للوصول إلى الطريقةالتى بها يتحول الانسان فى لحظة واحدة من رجل رشيق ذى هندام لطيف إلى سائق دراجة ،ثم يعود بتلك السرعة نفسها إل شكله الأصلى،وقد وصلت أنا اليوم إلى هذهالنتيجة فانظروا (يبتدىء فى فك أزرار حلته).

تيريز : يا للشناعة ! أنه سيخلع ملابسه !

موريه : رجائى إليكن أيتها السيدات أن تغضضن أبصاركن لحظة واحدة .

يدير السيدات إليه ظهورهن فيخلع موريه بسرعة رداءه الخارجى فإذا هو لابس بدلة السهرة من تحته .

والآن يمكن فتح أعينكن لترين هـذا الاكتشاف الغريب .

إيفون : آه ! الحمد لله !

مارشان : ولكن ما فائدة ذلك ياسيدى ؟

جلوجو : نعم ما فائدة ذلك ؟

موريه : (باستعلاء) إنى أرثى لكم ! ... إنى أرثى لكم ! ... وهذا الذى فى يدى ؟ أى شىء هو ؟

بوكور : رسائل ؟

مارشان : جرائد .

موريه : أظن أنكم بعد أن علمتم أنها رسائل وجرائد قدفهمتم ؟

جلوجو : لم نفهم شيئا .

موريه : غريب !

إيفون : الحل أن تفسر لنا هذا تفسيراً شافيا ، حتى نستطيع فى نهاية الأمر أن نفهمك .

موريه : أطفال صـغار ! اسمعوا إذن ، نحن نقضى هنا شهر سبتمبر فى قصر أصدقائنا آل مارشان ، الواقع على القمة المشرفة على وادى الفوسيل ، المرتفع عن سطح

الأرض ألفا ومائة متر ، والذى يبعد عن قرية «ميجو»
بثلاثة كيلو مترات وعن بلدة « سان كلود » بخمسة
وعشرين كيلو مترا هل أنتم مصغون لما أقول ؟

بوكور : نعم ، بكل جوارحنا .

موريه : ما ألطف أصحاب القصر .

مارشان وإيفون: شكرا .

موريه : وما ألطف الضيوف !

الجميع : شكرا .

موريه : أعنى غالب الضيوف .

جلوجو : شكرا .

موريه : كنت أريد ألا أستثنى غير نفسى ، أما وقد بلغت غيرتك هذا الحد يا جلوجو ...

جلوجو : دعك من هذا وتمم حديثك .

موريه : بالاختصار ، هذا القصر بكل ابهته وبهائه . هل تعلمون ما هو القصر ؟

تيريز : هذا بديهى .

موريه : هذا بديهى ! أرجو أن تعرفوا أن الأمر ليس بهذه البساطة وأنه لا بد من إيجاد تعريف جامع مانع . القصر هو المكان الذى يجب على النازل فيه أن يعرف كيف يعمل للترويح عن نفسه ونفع غيره فى آن واحد،

فمثلا قد يحدث أثناء اجتماعنا هنا فى بعض الليالى أن يسترسل جلوجو بعدالعشاء مباشرة فى سرد حكايات طويلة مملة تكشف عن نفسية مهرج تافه . وحينئذ لا يرى المرء إلا أن يعجل بالهرب . وبينما يتكلم جلوجو ويتكلم ، ويتكلم ، فإن بعضكم يحتمل متألما ، وبعضكم يزوى وجهه متضجرا ، أماواسع الحيلة مثلى الذى يعرف كيف يشتغل لتسلية نفسه ونفع غيره فى آن واحد ، فهو يتذكر فى الحال أن له علاقات طيبة مع عاملات إدارة البريد فى « ميجو » .

تيريز : يا للعار !

موريه : (فى نغمة عتاب) هذه فكرة خبيثة يا سيدتى ، علاقات غير مريبة ياسيدتى ، لأن إحدى تلك العاملات قدقضت فى خدمة البريد ثلاثين عاما ، والأخرى بلغت من العمر الستين .

تيريز : ولكن يا سيدى . . .

موريه : نعم فانهن رغما عن ذلك لا يمتنعن يا سيدتى من حسن استقبال سائق الدراجة المحترم ، إذا فاجأهن فى الساعة التاسعة والنصف ليأخذ الرسائل الواردة إلى القصر ، والتى لولاه لبقيت فى المكتب إلى الصباح حتى يقوم ساعى البريد بتوزيعها .

جلوجو : أتريد أن تقول بأنك أحضرت لنا البريد ؟

بوكور : برافو ! .. موريه ...

مارشان : هذا تفضل منك ...

موريه : (لتيريز) والآن أرجوك يا سيدتى أن تعترفى بأن احضار الرسائل إلى القصر عمل جميل يقابل بالعطف والبشاشة من الجميع ، أما الآن فاستمعوا ، يا حضرات الأصدقاء ، إلى ما يتلوه عليكم موزع البريد .

يفض حزمة الرسائل

الكولونيل فيلت . خطابان من وزارة الحربية .

فيلت : أشكرك يا صديقى العزيز .

موريه : الأستاذ بوكور ... الأســـتاذ بوكور ... هذا لحضرة المحامى .

بوكور : أشكرك يا صديقى العزيز .

موريه : انتظر أيضا ... السيد مارسيل بوكور نائب ... نائب من مكاتب جميع الوزراء ... ماركة أحد تجار النبيذ ، وهذا للنائب أيضا .

بوكور : أخشى ذلك .

موريه : المواطن مارسيل بوكور .

بوكوز : (بحزن) وهذا أيضا للنائب .

موريه : من اسم المرسل إليه — خطاب من: محل ميلون تاجر القبعات ..
لتيريز أرملة دنيو .

(لتيريز)

فكرة جميلة جداً إرسال الرسائل الغرامية فى الغلافات التجارية .

تيريز : سيدى موريه ...

موريه : إنها فكرة سديدة تدل على تربية رقيقة ، مدام فيلت .. مسيو يوليوس جلوجو ...

مارشان : (لفيلت وبوكور) تفضلا واقرآ رسائلكما .

بوكور : (لإيفون) هل تسمحين لنا ؟

إيفون : طبعا .

موريه : جلوجو ... جلوجو هو ... هو . هو .

جلوجو : ماذا ؟

موريه : مكتب النائب العام ..

(وتتجه الأعين آليا نحو جلوجو)

جلوجو : إنك مهذار ياعزيزى الكونت !

موريه : لست أنا المهذار ، بل الجمهورية .

جلوجو : ياشيخ !!

موريه : البارون مارشان ... البارونة مارشان ... لقد وردت أشياء للجميع ، إنه بريد العناية الإلهية ، وأنا فلم يدركني النسيان ، وهذه هي رسالتي ؛ « السيد الكونت برتران دي موريه، تاجر أنواع الأنبذة والشمبانيا وافضيحتاه ! ماذا يقول عني أســـلافي ذوو الأمجاد لو رأوا مثل هذا الغلاف ... مارشان !

مارشان : (يتوقف عن القراءة) هيه ؟

موريه : هنيئاً لك لقد أراحك الله من ذكرى الأسلاف والجدود !

مارشان : (مذهولا) ماذا تقول ؟ دون أسلاف !

(تيريز تشد موريه من كمه)

موريه : أتدعي أن لك أسلافا ؟

مارشان : ياله من سؤال ، هذا أمر محتمل !

موريه : إذن أنا لا أفهم شيئا !

مارشان : فيما يتعلق بماذا ؟

موريه : لو كان لك مجد قديم وأسلاف عظماء فلماذا كلفت نفسك أن تبتاع من البابا لقب البارون ، وكان في استطاعتك أن تمد يدك إلى خزائن أسرتك القديمة لتجد فيها من الألقاب ما تشاء .

مارشان : لقد أصبحت لا تطاق ياموريه !

تيريز : (همساً) لقد أخطأت خطأ جسيما !

موريه : (همساً) نعم ولكنى لا أخطىء إلا عامدا .

تيريز : أدهى وأمر !

موريه : لا ولكن لا ضير من هــذا ، فإنه لا يلحق الأذى بأحد ، هذه تسليتى .

تيريز : أوه !!

موريه : هذه تسليتى الوحيدة التى أحاول السبق فيها والتفوق ، أما أنت يا أرملة دنيو فإنك تأتين الأخطاء من غير شعور ودون قصد ، كما يفعل البلبل حين يغنى .

تيريز : سيدى موريه ، لقد رفعت كل كلفة بيننا ....

موريه : اشكرينى ، امدحينى . فإننا لم نتعارف إلا منــذ اثنتى عشرة ساعة ، ومع ذلك فقد تفاهمنا كما لو كنا يعرف بعضنا بعضا منذ الأزل ، وغــداً ستزول من بيننا كل كلفة .

تيريز : ما أوسع خطواتك يا سيدى !

موريه : عن طيب خاطر آه ! ذلك أنك قدأسرت لبى برقتك ..

تيريز (بدلال) أوه ! ... سيد موريه ....

موريه : نعم برقتك ، وأيضاً ببغضك لكل الأمور الجدية وللوحدة ، وبالإختصار لنفورك من الإنزواء والخمول .

تيريز : أهو إعلان حب ؟

موريه : تقريباً . أما أنا فقد أسرتك بسلامة قلبى التى لا تخلو

من غلظة وهذه البساطة الثقيلة .

تيريز : أوه ! غلظة !

موريه : نعم لسبب الخليط الذى تتكون منه شخصيتى ، ذلك الخليط الغريب الذى يتكون من حسن المزاج الذى ورثته عن أسلافى ، وضعف المعدة الذى خرجت به من تجارتى .

تيريز : تجارتك !

موريه : نعم ياسيدتى ألم تشربى على المائدة ساعة العشاء من تلك الزجاجة اللطيفة ذات الغلاف الذهبى ؟ إنها من ماركات الكونت موريه « فأنا لست إلا تاجر نبيذ » .

تيريز : إنك تغالى فى تواضعك ياسيدى .

موريه : لا ياسيدتى إنى أعرف نفسى حق المعرفة ، وأن مابينى وبينك من الود أرفع من أن تؤثر فيه أمثال هذه الاعتبارات ، فهو ود خالص منزه عن الغرض . ولذلك لن أحاول تقييد حريتك ، بأى قيد حتى ولا قيد الزواج .

تيريز : (بشىء من الإنقباض) آه ؟

موريه : قط وهذا مما يضاعف احترامى لك .

تيريز : (مشدوهة) ما أطيب قلبك !

موريه : تيريز تيريز ، هل تحبين أن نتبادل الهفوات بكل حرية ؟

تيريز : ماذا تعنى بذلك ؟

موريه : المعنى الحقيقى للكلمة ، وسترين أنى سأضرب رقمك القياس فيها . فإن ذلك سيضفى شيئا من البهجة على هذا الماء الفاتر . . . لا تتحركى من مكانك .

(لجلوجو)

نعم ياجلوجو ، كيف حال هذا الصديق القديم ؟

جلوجو : أى صديق قديم ؟

موريه : قاضى التحقيق !

جلوجو : يالك من ألمعى ياموريه !!
هذا هو الخطاب فخذه واقرأه بنفسك .

يقدم الخطاب لموريه وفى أثناء ذلك يدخل جوستان ويقول كلمة بصوت خافت للكولونيل فيلت الذى يفض بريده فى ركن منزو .... وحينئذ يذهب فيلت إلى الشرفة ، حيث كان ينتظره مراسلته ويرى وهو يلقى بعض الأوامر إلى الجندى الذى لا يلبث أن يذهب ، ويبقى فيلت فى الشرفة . يخرج جوستان بعد أن كلم الكولونيل

موريه : (مندهشاً) أبداً !

جلوجو : (وهو يضع الخطاب فى يده) عفواً اعفواً الأنا أريد ذلك .

موريه : (خجلا) نظارتى ليست معى . (يناول تيريز الخطاب) .

تيريز : وأنا كذلك ...

تعطى تيريز الخطاب لإيفون التى تعطيه لزوجها فيعطيه لبوكور الذى يعيده لجلوجو .

جلوجو : أنت وشأنك ياموريه . ومع ذلك فسأعمل على إرضاء فضولك بالقوة ، إن نيابة باريس تسألنى عن بعض أشياء تتعلق بتلك الجناية القديمة التى كنت أنا ضحيتها .

تيريز : ياللهول !!

مارشان : ماذا ؟

تيريز : أكان السيد جلوجو ضحية لجناية ؟

إيفون : ألا تقرئين الجرائد ، ياتيريز ؟

تيريز : كلا . . . بلى . . . فى بعض الأحيان . لكن قص علىّ هذه الحادثة فإنى أميل إلى سماع القصص الفظيعة .

جلوجو : هذه الحكاية ليست فظيعة ياسيدتى . فقد حدث منذ بضعة أسابيع وأنا خارج من مجلس الإدارة ، وفى اللحظة التى كنت أركب فيها العربة ، أن أطلقت علىّ ثلاث رصاصات اخترقت . . . .

تيريز : ياللهول !!!

موريه : قبعته الحريرية فقط ياسيدتى .

جلوجو : هو هذا بالضبط .

مارشان : أما الضارب فإنه انتحر فى الحـــال برصاصة أطلقها على رأسه .

جلوجو : ولـكن النيابة لم تعجبها هذه النهاية ، فهى لا تزال تحقق حتى اليوم فى حادثة نسيها صاحب الشأن فيها .

مارشان : ولم يعد لمرتـكبها وجود ! . . . ها ! ها !

بوكور : أنا لا أفهم جيداً ، ياسـيد جلوجو ، ماذا تحققه النيابة فى هذه الظروف ؟

جلوجو : ومع ذلك فأنت لا تجهل ياسيدى الأستاذ حال النيابات عندنا ! فهى ترى من واجبها أن تضخم أتفه الحوادث وتعقدها ، ومن الواضح أن هذا الجانى المسكين الذى لم تعرف شخصيته لم يكن إلا أحد المجانين .

مرشان : لا أكثر ولا أقل .

جلوجو : ولـكن النيابة تأبى إلا أن ترى فيـــه ثائراً أجنبيا ، وتفترض أن له شركاء وتبحث وتنقب وتفتش ، وتضيع على وقتاً ثميناً ، وأنا لا أرجو إلا . . . . .

موريه : السكوت

جلوجو : نعم .

موريه : ولـكن لا أظن أن النيابة غبية إلى هذا الحد ، فإن كون الجانى أحد الثوار ليس فرضاً بل بديهة .

جلوجو : ولمـاذا ؟

موريه : أو على الأقل احتمال قوى .

جلوجو : ولماذا ياموريه ؟

موريه : ذلك على وجه التحديد ، لأن جلوجو كان فيما مضى (لجلوجو) ..... أليس كذلك ياجلوجو ..... موظفاً فى البوليس الروسى .

جلوجو : (متكلفاً كتمان غيظه) أنا ؟ !

موريه : (بسذاجة) أيمكن أن تكون هذه أسطورة لا أكثر ؟

جلوجو : (بأطراف شفتيه) إنها نوع من المزاح الثقيل ، كما يبدو لى .

مارشان : ولا شىء فيها من حسن الذوق !

إيفون : أرى من الصعب إصلاحك ياموريه .

موريه : دعونا من هذا ... لقد هفوت ! ...

(لستيويز)

أرأيت ؟ هناك بعض الأمسيات التى لا يواتينا فيها حسن الحظ ، مثل هذا المساء .... وأنا واثق الآن أنى لو أردت إصلاح ما أفسدت لزدته فسادا .

تيريز : إذن ليس أمامك إلا السكوت !

موريه : ولكن الغلطة غلطته هو .

جلوجو : غلطتى ؟

موريه : بالضبط ، وإلا فلماذا كل هذا الغموض الذى يحيط بك ؟

جلوجو : الغموض الذى يحيط بى أنا ؟

موريه : أنت تتردد على جميع الصالونات الباريسية الجديدة ، لا يُرى أحد فيها سواك ، ولا يعرف أحد سواك ، وكل الناس فيها ينادونك باسمك مجرداً من الألقاب أى بلا كلفة ، وبالرغم من كل هذا فأنت على جانب من الغموض يجعل الإشاعات تقول تقول . . . تقول ... أنا أكرر أنها غلطتك ، بل غلطتك الكبرى ! لماذا لا تكشف لأصدقائك المقربين عن شخصيتك الحقيقية ، ولو مرة واحدة ؟

جلوجو : أنا من رجال المال .

موريه : ولكن ذلك لا يمنع من أن يسمع المرء ، فى نفس المساء ، قوماً من ألصق الناس بك ، يقررون بكل شدة أنك كنت موظفاً فى . . . .

جلوجو : لقد قلت ذلك من قبل . ثم ماذا ؟

موريه : وملحقاً عسكرياً فى البلقان لدولة أجنبية صغيرة ، ورئيسا لتحرير قسم البوليس الأجنبي فى جريدة إنجليزية يومية كبرى .

إيفون : أنه مجنون !

مارشان : إنه سكران !

جلوجو : (مبتسما) إنه فى غاية اللطف ، أكمل ياموريه ، وماذا

يقولون عنى أيضا ؟ .

موريه : يقولون إنك قد تكون نمساوياً وربما كنت بافارياً ، ولكنك تجنست بالجنسية البلجيكية بعد أن كنت مواطناً سويسرياً . وأخيراً لو أنك أكدت لنا أنك بروتستانتى لما اجترأت أن تقسم على ذلك .... بموسى ...

إيفون : (مقاطعة بإشارة آمرة) اسمعوا . . . اسمعوا . . . .

يستمعون فإذا صوت سيارة من بعيد فيركض مارشان إلى الردهة ويدخل فيلت فتسأله إيفون .

أهو القادم ؟

فيلت : نعم على ما أظن .

مارشان : نعم . . . نعم هو صاحب الغبطة .

إيفون : (مرتبكة) رباه ! بسرعة ! ... أقبل يامرشان ! بياتريس ، هل لك أن تلقى نظرة أخيرة على قاعة المائدة ؟ . . .

بياتريس : أمرك ياسيدتى (تخرج) .

إيفون : وأنت ياتيريز عليك بغرف النوم .

تيريز : فوراً ياسيدتى . . . اللهم احفظنى من الهفوات بين يدى صاحب الغبطة (تخرج) .

إيفون : (مهرولة) هيـــا بنا يامرشان . . . أما أنت يابوكور فأوصيك أن لا تتكلم فى السياسة أمامه .

بوكور : ولا فى الفلسفة .

مارشان : (لايفون) ضعى شيئا على كتفيك ياعزيزتى لأن الجو أخذ يميل إلى البرودة .

يخرج مارشان وإيفون

جلوجو : موريه أتريدأن أقول لك من أنا على أرجح الروايات ؟

موريه : أما من جهتى فأنت تعرف . . .

جلوجو : أنا زنجى وثنى فقير ، وأقترح عليك أن نلعب الورق دوراً إلى أن يحضر مطراننا .

موريه : فكرة جميلة ! وأنا موافق (يدخلان صالون اللعب الصغير)

المنظر الرابع

بوكور ...... فيلت

سكون ، يذهب فيلت ويقفل الباب على اللاعبين بهدوء

فيلت : بوكور ؟

بوكور : نعم ياصديقى العزيز ؟

فيلت : أظنك لاحظت يابوكور أنى كنت أطيل النظر إليك هذه الليلة أثناء محادثتك الطويلة مع زوجتى بشىء . . بشىء من الإلحاح .

بوكور : نعم لاحظت ذلك .

فيلت : إذن لا يدهشك أن ترانى قد انتهزت فرصة انفرادنا معاً لألقى عليك سؤالا له عندى أهمية عظمى .

بوكور : سأجيبك عليه بكل ما فى استطاعتى .

فيلت : وهذا هو السؤال : أتعلم ياسيدى أن حياتى العائلية مضطربة اضطرابا كبيراً من جراء سوء تفاهم خطير ؟

بوكور : (بعد تردد يسير) لم أفهم سؤالك جيداً ياسيدى .

فيلت : ومع ذلك فهو واضح أنا أسألك هل ؟ . . .

بوكور : (مقاطعاً) السؤال واضح ياسيدى إنما الذى لا أفهمه هو غرضك منه .

فيلت : إنك تحتاط فى الإجابة فأنت على تمام العلم بالموضوع .

بوكور : اسمح لى . . .

فيلت : بوكور أرجو أن لا تستعمل المهارة الخطابية فى كلامك وتناس فى هذه الساعة أنك علم من أعلام المحاماة ، كما سأحاول من جهتى أن أتناسى عاداتى وطبيعتى العسكرية ، وإنى أؤكد لك أنى منذ أيام أحاول بكل مشقة أن أكبح جماح نفسى ، حتى لا أفاجئك بأمر صارم ، لكى تكف عن محاولتك التقرب إلى بياتريس فى الحال . . .

بوكور : ولكن يخيل لى ، مع ذلك ، أنك تلقى إلى الآن بهذا الأمر ، وذلك يسمح لى أن . . . .

فيلت : لا . . . لا . . أنى لا أريد أن أحيد عن الطريق الذى أرغمت نفسى إرغاماً على سلوكه ، فلنحاول ألا نجهض

هذه الحادثة . . . لنحاول ألا نصل بها إلى حل مبتسر لا يؤدى إلى أية نتيجة ، وقد عملت كل ما فى جهدى لتجنب مثله . وأنت رجل حر صريح ، فدعنى أخاطب فيك هذه الصراحة وتلك الحرية .

بوكور : ها أنا مستمع لما تقول .

فيلت : أنت تعلم إذن أنى أنا وزوجتى نعيش شبه منفصلين منذ شهور بسبب شىء من سوء التفاهم الذى أحمل أنا كل وزره . وقد أدركت فجأة أنك أردت استغلال هذا الظرف لتحول ما بينك وبين زوجتى من صداقة بريئة إلى عاطفة أشد حنانا . ولا ألومك فى ذلك لأن علاقاتنا الشخصية كانت دائماً على جانب كبير من الفتور . فأنت تشتهى زوجة رجل لا تربطك به صلة وثيقة أكثر مما تنتهك حرمة صديق . أترانى قد صورت لك المسألة على وجهها الصحيح ؟

بوكور : إنك تصف العلاقة الأخوية التى بينى وبين هذه الصديقة بوصف غريب ، لا ينطبق على الحقيقة بوجه من الوجوه . فهى امرأة منكوبة فى حياتها المعنوية كما تعترف أنت نفسك بذلك ، وليس بالأمر الغريب أن تحتاج فى شدتها هذه إلى شىء من العطف والحنان .

فيلت : معذرة ياسيدى ! ها أنت قد بدأت تجيبنى على طريقة

الخطباء ورجال السياسة ، ولكن بمايسرنى أنك تحاول نفى التهمة عن نفسك باستعمال المجازات . ولكن لندع العطف والحنان جانباً إذا كنت تريد أن تتخذ من زوجتى خليلة لك .

بوكور : هذا غير صحيح .

فيلت : ماذا تقول ؟

بوكور : هذا باطل ، باطل إلى أقصى حد ، ولا أسمح لك بأن توجهه إلى .

فيلت : ما كنت أظن أن عباراتى تخيفك إلى هذا الحد .

بوكور : إنها لا تخيفنى بل تسوءنى وتمس كرامتى .

فيلت : إذن فأولها تأويلا آخر ، وإذا لم تكن تريد أن تتخذ من زوجتى عشيقة لك ، فماذا تريد أن تتخذها ؟

بوكور : كنت أستطيع أن أجيبك على سؤالك هـــذا لو كان ذلك من حقى .

فيلت : أنا أعطيك هذا الحق .

بوكور : لست بصاحبه فتمنحنيه.

فيلت : لمـاذا ؟

بوكور : لأنى إن صرحت لك بمـا فى نفسى أكون كأنى قد صرحت لك بما فى نفسها وأنا لا أريد المساس بها .

فيلت : بالرغم من محاولتك هـذه ، فإن غرضك ظاهر

ومفهوم . وهو أنك تهيء لها أسباب الطلاق منى .

بوكور : أكرر لك أنه ليس من حقى أن أجيبك .

فيلت : أن ما تطمع فيه ياسيدى هو عشى الزوجى ، فأنت لا يكفيك من بياتريس أن تكون خليلتك بل لا بد أن تكون زوجة لك .

بوكور : أظن أنه يجب عليك أن تحترمها .

فيلت : لنتكلم عنك أنت فلو كنت اشتراكياً لقنعت منها بالمخادنة ولكن ضميرك البرجوازى ، ضمير الرجل الراديكالى يأبى عليك العلاقة غير الشرعية ، وهذه هى السمة التى تكشف عن لونك السياسى .

بوكور : كما يدل على لونك العسكرى احتقارك للمرأة ، وازدراؤك إياها ، وحديثك عنها حتى ولو كانت زوجتك كما تتحدث عن سبية من سبايا الحرب .

فيلت : أتدرى ماذا أسمى هذا المشروع اللطيف الذى تشتغل به اليوم ؟ إنى أسميه البلاهة والجبن .

بوكور : أيها السيد !

فيلت : (متجلداً) عفواً ! يؤسفنى أنى خرجت عن طبيعتى ، أو بالأحرى أنى عدت إليها ، وأنا مستعد أن أسترد كلمتى هذه ولكنى أقيم لك الدليل على صحتها ، فأنا لا أعرف ماذا قالت لك بياتريس ، ولا ما يدور فى ذهنها ،

ولا ما تريد أن تفعله ... بل اذهب إلى أبعد من ذلك فأسلم بأنها فى هذه اللحظة تكرهنى ، ولكن الذى لا أشك فيه أنها لم تكف لحظة واحدة عن حبى وإذن ؟

بوكور : وإذن ، ماذا ؟

فيلت : لنفترض أنك نجحت فى مسعاك .

بوكور : فلنفرض .

فيلت : لن يكون انتصارك إلا انتصاراً عابراً قصير الأجل ، فإنى أحب بياتريس وأحرص على استردادها بالرغم من الألم الذى سببته لها ، بل من أجل هـذا الألم نفسه ، وسأنجح فيما أريد .

بوكور : فلنفرض .

فيلت : وسأنجح فى ذلك ، سواء أبقيت زوجة لى أم صارت زوجتك ، وفى هذه الحالة الأخيرة تصبح ذكراك بيننا ذكرى مؤلمة محزنة ، نشقى بهـــا معاً شقاء عظيما ، ولا يكون حظك من الشقاء أقل من حظنا . وحينئذ يتبين لك أنك غر أبله، لأنك جلبت الشقاء بنفسك على نفسك ، وأن انتهازك هذه الفرصة للتفريق بين زوجين متحابين جبن ودناءة . سامحنى ياسيدى ، فإنى لا أريد أهانتك ، ولكنى أصف الظروف والملابسات ،

بوكور : التى ترتبها على مزاجك التعسفى ، ياسيدى إنى لا أعرف

أحداً يدانيك غروراً أو صلفا .

فيلت : إنى واثق من أننى أقوى الطرفين ، ولذلك لا بد أن أقوله لك . وهذا كل ما فى الأمر .

بوكور : (محتداً شيئاً فشيئا) وأنا أقول لك أن هذه الثقة لا تخيفنى ولا تنال منى منالا . حقيقة أن هذا الأسلوب الذى تنتهجه قد أفادك فى جميع أدوار حياتك ، ومكنك من مقاومة رؤسائك وقوادك ووزرائك ، وفتح لك الطريق إلى الارتقاء حتى وصلت إلى رتبة القائمقام فى السن التى لم يتجاوز فيها أقرانك رتبة اليوزباشى ، لقد ساعدك هذا الأسلوب على إظهار قيمتك التى لا تنكر ، وتحقيق أطماعك التى لا حد لها ، ولكنى أقسم لك أنه لن يفيدك فى هذا النزاع القائم بيننا والذى تتوقف عليه سعادة سيدة

فيلت : ومع ذلك فإن هذه الدقة نفسها تقطع بتفوقى عليك ، فأنت الذى عودتك المحاكم والمنابر على الاحتفاظ بهدوء أعصابك ، قد ثرت واضطررت إلى الاعتراف بهدفك الخفى . أما أنا الذى عودتنى شمس المستعمرات وحمياتها على الشدة والعنف ، فقـــد قاومت ثورتى أمام هذا الاعتراف . قاومت رغبتى الملحة فى الأخذ بتلابيبك و .... حقا ، إنى أقوى الطرفين (لحظة صمت)

بوكور : لا بد من الوصول إلى نتيجة .

فيلت : هذا حق ... فالآن ... صمتا !

(يشير خفية إلى تيريز وهى نازلة من السلم)

المنظر الخامس

(بوكور .... فيلت .... تيريز)

تيريز : إنى أكاد أجن ... لقد نسوا إناء الماء المقدس .

بوكور : إناء الماء المقدس ؟!

تيريز : لا يوجد إناء للماء المقدس فى غرفة صاحب الغبطة ، وقد وصل غبطته الآن ....وهاهما البارون والبارونة مارشان يستقبلانه على السلم الخارجى ، لكى يصحباه إلى غرفة نومه .

بوكور : وإذن ؟

تيريز : إذن سيدخل صاحب الغبطة غرفته فلا يجد إناء الماء المقدس فيها فما العمل ؟

بوكور : أعترف لك ياسيدتى بأنى عديم الخبرة فى هذه المسائل الدقيقة . ولكن يخيل لى أن مطرانا مثله لايكبر عليه أن يهيىء لنفسه ماء مقدساً حينما وحيثما يريد .

تيريز : هل تظن ذلك ؟

بوكور : نعم لأنه هو الذى يقوم بالتقديس . وهذا هو العنصر الجوهرى فى الموضوع .

تيريز : كلا وألف كلا ياسيدى إنك لا تدرى أن تقديس الماء لا يكون إلا فى أيام مخصوصة من أيام العام . . . آه ! يا لجهل الرجال ! ولكن لعل مدام فيلت تجد لنا حلا لهذه المشكلة . . . أين مدام فيلت ؟

بوكور : أظنها فى هذه الجهة لأنها لم ترجع بعد .

تيريز : ها أناذى ذاهبة لأسألها ...لأنى لا أعرف من يستطيع أن ينقذنى من هذه الورطة سواها .

(تخـــرج مسرعة)

المنظر السادس

(فيلت . . . . . بوكور)

فيلت : يهمنى كثيراً أن أعرف كم يوماً ستبقى فى هـذا القصر . فهل أستطيع أن أسألك عن ذلك ؟

بوكور : نعم هذا حقك ، لدى عذر وجيه يبيح لى أن أذهب غداً إلى باريس .

فيلت : أما أنا فيؤسفنى ألا يكون لدى عذر يتيح لى أن أسبقك بالرحيل . ولا أستطيع أن أنتحل عذراً من هذا القبيل أتعجل به السفر أمام مضيفى ، لأنهم يعرفون أن عملى فى حصن « أورييه » لم ينته بعد .

بوكور : أليس خيراً لى ولك أن لا يشك أحـــد من هنا

حتى الغد فيما كان بيننا ؟

فيلت : نعم وكنت على وشك أن أطلب منك ذلك ، وهـذا أقل ما يجب أن يكون من المجاملة بيننا .

بوكور : أظن أن الحديث بيننا قد انتهى ولم يبق بيننا مانقوله ؟

فيلت : إلى أن يجد جديد ، وإنى أتركك (يدخل صالون اللعب)

المنظر السابع

(بوكور . . . . . بياتريس)

(تظهر بياتريس على عتبة الشرفة وتشير الى بوكور أن يلتزم الصمت)

بوكور : (بصوت منخفض مع دهشة) بياتريس !

بياتريس : صه .

بوكور : هل كنت هنا ؟ هل سمعت ما دار بيننا ؟

بياتريس : رغماً عنى . . . لم أسمع إلا القليل . . . ولـكنه يكفينى لمعرفة الموقف .

بوكور : (بعصبية) بياتريس ! . . . بياتريس ! . . . آرانى على وشك فقدانك ؟ إن الثورة التى فى نفسى تكاد تخنقنى

بياتريس : نعم ، قوته ! . . . قوته دائماً . . . عبادته للقوة . . . ولـكن لا تجزع يامرسيل فإنى أكره الأقوياء .

بوكور : إنى أكاد أختنق .

بياتريس : أحترس !

(تدخل تيريز بغاية السرعة)

المنظر الثامن

(نفس الأشخاص . . . تيريز)

تيريز : آه ياسـيدتى ! إنى أفتش عنك فى كل مكان . . هل أخبرك السيد بوكور بالكارثة ؟

بياتريس : الكارثة ؟

تيريز : إناء الماء المقدس ، لن يمكننا أن نجد ماء مقدسا ؟

بياتريس : ولكن . . .

تيريز : لقد أزفت الساعة أعتقد أنى أسمعهم . . .

(تذهب تيريز إلى السلم وتنظر فى الفضاء)

بوكور : (لبياتريس همساً) أين نلتقى وأين نتكلم ؟

بياتريس : (بعزم) فى غرفتى .

بوكور : فى غرفتك ؟ !

بياتريس : هذه الليلة .

(بصوت عال لتيريز)

ماذا تم ؟

تيريز : إنى أسمعهم يتكلمون على السلم (تصغى) .

بوكور : (لا هنا) بياتريس !

بياتريس : (وهى ترقب تيريز) حوالى الساعة الواحدة .

هل هم آتون (لتيريز)

تيريز : لا . . . نعم . . . انتظرى .

بوكور : أأطرق الباب ؟

بياتريس : ستجده مفتوحا ، فتدخل .

(تبتعد)

تيريز : (مضطربة) إنه هو ! إنه صاحب الغبطة ! . . ها هم قادمون . . .

(تهرع إلى غرفة اللعب وتفتح بابها)

أيها السادة ! أيها السادة ! هلموا بسرعة ! فقد حضر صاحب الغبطة « مونسينيور چوسى » .

(جلوجو . . فيلت . . موريه يدخلون

ويرى المطران ينزل على السلم ببطء وهو يتكلم مع مارشان . تسدل بياتريس وتيريز خماريهما على صدريهما عفواً بحركة غير مقصودة) .

المنظر التاسع

(نفس الأشخاص وجلوجو وفيلت وموريه وصاحب الغبطة
والبارون والبارونة مارشان)

إيفون : (لزوجها) أرجوك ياعزيزى أن تقدم ضيوفنا .

مارشان : (وهو يقدم الضيوف لمونسينيور) السيد يوليوس
جلوجو . الكولونيل فيلت . الكونت برتران
دى موريه . السيد بوكور .

مونسينيور : (بتودد وتلطف . لبوكور) الوزير إن لم تخنى ذاكرتى .

مارشان : (متلعثما) الوزير سابقا . . .

مونسينيور : (بتلطف . لبوكور) إنى فى غاية السرور بمعرفتك ياسيدى
لأن القسيس قد يحتاج إلى من هو أكبر منه .

بوكور : (مبتسما) الواقع ياصاحب الغبطة ، أنه كثيراً ما احتاج
النواب إلى القسسين وهذا دوركم . (يتصافحان) .

مارشان : مولاى ، أسمح لى أن أقدم لك السيدة فيلت .

مونسينيور : (مسلما على بياتريس) سيدتى . . .

(بياتريس تقبل يده)

مارشان : والسيدة . . . دنيو .

تيريز : (بتلهف) مولاى !

(تأخذ يده وتقبل فص خاتمه كما صنعت بياتريس ولكن بخضوع أظهر) .

إيفون : ألم ترهق عظمتكم هذه الرحلة القصيرة ؟

مونسينيور : إن عظمتى قد صغرت جداً بين الوسائد الوثيرة فى داخل سيارتكم التى تفضلتم بإرسالها إلىّ فى «سان كلود» وكل ما أتمناه أن أعود إلى روما فى مثل هذه السيارة المريحة .

مارشان : لا شىء أبسط من هذا ، يامولانا .

مونسينيور : أشكرك كثيراً ياصديقى العزيز ، ولكن مع الأسف ليس سفرى إلى روما سفر السائح المتنزه ، لأنى ذاهب إلى الفاتيكان لتقديم تقريرى عن مهمة كلفت بها لدى مطرانى « نانسى » و « سان كلود » ، ويتحتم أن أكون هناك بعد غد مساء .

إيفون : بعد غد مساء ! ! أتفارقنا بهذه السرعة ؟

مونسينيور : أفارقكم غدا بعد الغداء ياسيدتى . وهذه هى حياة المطارنة ، فهم فى نظر أتباعهم قوم ناعمون لا عمل لهم . والحقيقة أنهم مكلفون بكل عمل . معرضون لكل خطر ، إذا صح هذا التعبير ! هى ! هى ! هى . . . . وأنتم ترون أنى لم أستطع الحضور لتحيتكم ، يا أصدقائى الأعزاء إلا بشق الأنفس . . . آه كم أحن لهذا الوقت الهادئ حين كنت مجرد واعظ .

على ظهر السفينة « چوبيتير » وكانت كل مشاكلى ، ياصديقى العزيز ، تنحصر فى الحصول على أجازات لأخيك الشاب الذى اعترف بأنه كان غلاماً وفياً.

مارشان : إنه سيرقى قريباً إلى رتبةربان باخرة ، ياصاحب الغبطة

مونسينيور : وهذا مما يزيده بعـــداً عن عهد الشباب ويجعله مثلى ومثلك ياصديقى .

(ينظر فيرى سكون الحاضرين وتأدبهم فى حضرته)

ولكن دعونا من هذه الذكريات التى لا تمتع أحداً . وهيا أيها السادة ، وأنتن أيضا أيتها السيدات ! أرجو أن تستمروا فى لهوكم وتبسطكم كما لو لم أكن حاضراً بينكم . لا شك أنكم كنتم تتبادلون بعض الأحاديث اللطيفة . . . وربما كنتم مشتغلين بما هو خير من ذلك ، بدور بردج مثلا . . . أليس كذلك ؟

موريه : بل الايكارتيه يامولاى ، الايكارتيه العادية ، بكل أسف.

مونسينيور : ليست الايكارتيه لعبة عادية ، ولكنها على كل حال ليست من اللعب التاريخية المجيدة ، بل لمجرد قتل الوقت الذى يقضيه المرء فى انتظار شخص مقلق .

سجلوجو : وقد نلعب الباتشكا فى بعض الأحيان ، يامولاى !

مونسينيور : ويبدو لى ياسيدتى ، وهذا مما يدل على تجاوزى عهد الشباب . . . ولكن هيا ، أيها الســادة لا تترددوا ،

عودوا إلى لعب الباتشكا . الجلسة لا زالت منعقدة . فليس أمامكم إلا رجل مذنب مثلكم ويتمنى أن تتاح له الفرصة ليدلى بكلمتين إلى سيدة القصر .

إيفون : (للجميع) فى هذه الحالة أيها السادة . . .

(يبتعدون . يدخل جلوجو ومارشان قاعة اللعب ، ويتبعهما فيلت ويخرج بوكور إلى الشرفة . موريه وتيريز يتنحيان جانبا)

بياتريس : (همساً — لمونسينيور) لى كلمة أريد أن أقولها لك يامولاى .

(يشير مونسينيور إشارة خفيفة من رأسه بالقبول فتمر بياتريس أمامه وتبتعد) .

المنظـــر العاشر

(مونسينيور . . . إيفون . . . بياتريس « مبتعدة قليلا »)

مونسينيور : (لإيفون) نعم ياسيدتى ، أريد أن أعترف لك اعترافا مؤلما !

(تنظر إليه إيفون بخوف واندهال ، فيقول لها همساً) إنى لم أتعش الليلة .

إيفون : (متنهدة) آه . . . لقد اعترانى الخوف . . . (تضحك) ولكن إذا كان هذا كل ما فى الأمر . . .

مونسينيور : هى ! هى ! هذا أمر جد خطير ! . . . لأنك ستقدمين

لى بعض الطيور والفواجرا . . .

إيفون : طبعاً !

مونسينيور : فى قاعة مائدة متسعة كقاعة الحرس ، يجللها الوقار ، يجللها الوقار . .

إيفون : ربما كانت قاعة الطعام كما تصفون .

مونسينيور : ألا ترين ؟ . . . لكنى لا أريد شيئاً من ذلك . أريد أن آكل على النظام الذى أتبعه ، كما يأكل الجندى العجوز ، بحيث لا يهتم أحد بشأنى . .

إيفون : (محتجة) ولكن يامولاى . . . .

مونسينيور : أرجو أن لا تعارضينى إن كنت تريدين سرورى ، وأرجو أن تذهبي أنت إلى ضيوفك وهـــذه السيدة صديقتك . . .

إيفون : (ملتفتة نحو بياتريس) مدام فيلت . أتسمعين يابياتريس؟

(تقترب بياتريس)

مونسينيور : لتتفضل مدام فيلت بأن تأمر بإحضار كسرة خبز ، وقليلا من الفاكهة ، وكأساً من الماء ، وتضع لى كل ذلك على زاوية هذه المائدة .

بياتريس : أمرك يامولاى !

(تخرج)

مونسينيور : أو كأساً من البيرة لأنى لا أكرهها ، ولكن أظن أنه

لا توجد فى القصر بيرة.

إيفون : (حين خروج بياتريس مسرعة) بل لدينا أحسن أنواعها.

مونسينيور : ما أحسن حظى! إنى سأجد لذة عظمى فى الوجبة العظيمة التى ظننتها فى أول الأمر مضغة بسيطة فرجائى إليك أن تذهبى إلى ضيوفك وتشغليهم عنى أثناء عشائى حتى لا تتجه أنظارهم إلىّ.

إيفون : كنت أتمنى ياسيدى أن أكون أنا . . . .

مونسينيور : هذه هى أمنية الجندى العجوز ، إذا أردت أن تدخلى على نفسه السرور.

إيفون : ما دامت هذه إرادة مولاى ، فلا بد لى من الإذعان. وها أنذى ذاهبة.

(تذهب لإغلاق الباب الخارجى الكبير)

أغادرك يامولاى ، وسأسجن جميع ضيوفى ، حتى تطلق أنت سراحهم متى شئت.

مونسينيور : ما أطيب قلبك ياسيدتى !!

إيفون : (مبتسمة) هنيئا مريئا يامولاى.

(تمر من قاعة اللعب التى تغلق بابها ولا تكاد تختفى حتى تدخل بياتريس حاملة صينية عليها ادوات الأكل وخبز وعنب ودورق من البيرة)

المنظر الحادى عشر

(مونسنيور . . . . . بياتريس)

بياترِيس : (وهى تضع كل شىء فى مكانه على المائدة) هل يتكرم مولاى بأن يسمح لى بخدمته ؟

مونسيفيور : أسمح لك بذلك مع خجلى الشديد

(يسكت قليلا ، ثم يتكلم بلهجة أبوية)

ماذا تريدين أن تقولى لى يابنيتى ؟

بياتريس : (مندهشة) اذن ، فأنت لازلت تعرفنى يامولاى ؟

مونسيفيور : لئن نسيت كل شىء فاننى لا أنسى تينك العينين الغامضتين اللتين توحيان بالطيبة وذلك حين رأيتك مضطربة تتوقين إلى أن تفضى بسرك إلى هذا القس العجوز ... ليس أمام الآخرين ، ولذلك ترينى قد رتبت أمرى على أن نكون وحدنا لحظة .

بياتريس : (متأثرة) ما أعظم شكرى لك يامولاى !

مونسيفيور : أهذا يدهشك ؟

بياتريس : بعد اثنتى عشرة سنة !

مونسيفيور : نعم بعد اثنتى عشرة سنة، أرى تلميذتى الصغيرة التى كانت فى ديبجو سواريس .

بياتريس : ابنة جيرار الصغيرة ... ما أبعد هذا الوقت !

مونسينيور : هى ! هى ! ذلك أن عدد تلميذاتى بميناء سواريس لم يكن كبيرا.

(يجلس امام الأكل)

أنى أكاد أموت جوعا. فاسمحى لى يا ابنتى أن أعرض عليك منظرا لشراهتى،

(يكسر الخبز وتملأ الكأس)

نعم لم يكن كبيرا. كانت هناك أمك وأنت لا أكثر، على ظهر السفينة جوبيتير. كنتما الشخصين الوحيدين اللذين ألقى لديكما بعض الراحة من بحارتى ! يالهم من شياطين هؤلاء البحارة ! ولا أزال أذكر حتى الساعة مكانك بينهم وهم جالسون للصلاة على سطح السفينة فى يوم الأحد.

بياتريس : (تستغرق فى ذكرى الماضى) نعم .... نعم !

مونسينيور : وأرى ملابسك البيضاء المموهة باللون الأزرق تتلألأ تحت سماء مدغشقر الجميلة آه ... ما كان أجمل تلك الأيام وأحلاها !!

بياتريس : (نفس المنظر السابق) حقيقة لقد كانت أياما جميلة !

مونسينيور : وكان أولئك البحارة الشياطين يحبونك كثيرا، من أصغر جندى إلى أكبر ضابط، ويخضعون لك خضوعا غريبا.

بياتريس : (مبتسمة) ولا غرابة فى ذلك ! لقد كنت اضطر أبى للتجاوز عن ذنوبهم

مونسينيور : ولم يكن هذا بالأمر اليسير . فإن القومندان جيرار كان شديد الصرامة ورئيساً يشار إليه بالبنان .

بياتريس : مسكين ياوالدى !

مونسينيور : كيف حاله الآن ؟ أظنه وصل إلى رتبة الأميرال المساعد .

بياتريس : لقد توفى ياسيدى .

مونسينيور : وا أسفاه اعفوا ياسيدتى .

بياتريس : ولم تلبث أمى أن لحقت به .

مونسينيور : عفوا ... عفوا ... فقد كنت أجهل ...

بياتريس : وأنا اليوم وحيدة .

مونسينيور : (محدقا فيها بذهول) وحيدة ؟

بياتريس : نعم وحيدة (مع الضغط على الكلمات) فى هذه الأزمة العصيبة. ولقد كان مجيئك هذه الليلة وتفضلك على بهذه المحادثة نعمة مرسلة إلى من (تتوقف)

مونسينيور : قولى من الله عز وجل ألا تكونين قد فقدت نعمة الإيمان ؟

بياتريس : لا يا أبى أنى شديدة الايمان . . . ولكن . . .

مونسينيور : ولكن ماذا ؟

بياتريس : ولكن عقيدتى الدينية قد اتسع مداها .

مونسينيور : أأفهم من ذلك أنها تجاوزت وصايا الكنيسة ؟

بياتريس : هذا هو الواقع ، يامولاى !

مونسينيور : (ومقطباً حاجبه) آه ! آه ! أعرف هذه الحالة . . . فهى كثيرة الشيوع . إن لك زوجا ، وتقولين بأنك وحيدة وأنت متدينة ، ولكن مطالب العقيدة تبدو لك فجأة أضيق من أن تسعك. وعلى كل حال فما الذى تريدين؟ أن تحصلى على الطلاق ؟

بياتريس : لم أجد حلا لمعضلتى سوى ذلك .

مونسينيور : بالضبط !

بياتريس : ولكنى لم أنتظر هذا الوقت العصيب لاوفق بين اعتقادى فى الله وإيمانى بالحياة التى أعتبرها سماوية هى الأخرى.

مونسينيور : كيف ذلك ؟ ليست هذه الأفكار الطنانة إلا وسيلة المرء عن الدين بقدر حاجاته . فأنت تريدين أن تكونى دائما مسيحية ، ولكن مسيحية حرة كما كانت تقول إحدى مثيلاتك الجميلات .

بياتريس : فليكن

مونسينيور : حرة فى أى شىء فى اتخاذ عشيق ؟

بياتريس : (منتفضة) مولاى !

مونسينيور : هل جرحتك هذه الكلمة ؟ حمـــداً لله ! ألا يوجد

في حكاية هذا الطلاق رجل آخر غير زوجك ؟

بياتريس : نعم يوجد رجل آخر، ولكنه ليس بعشيقي بل سيكون زوجي .

مونسنيور : أي سيكون عشيقك لأنك مهما توسعت في حريتك الدينية فانك لا تستطيعين أن تتخلصي من الاعتراف بأن الزواج عقد مقدس لا يد عليه لسلطة من السلطات المدنية .

بياتريس : كان ذلك دائما من بواعث قلقي . ولكن ماذا ؟ وإذا كانت روح أمي التي كانت شديدة التدين قد حلت في ، فإن أبي هو الآخر . . . .

مونسنيور : أتريدين أن تقولي أن أباك لم يكن متدينا ؟ إذن فأنت ابنته حقاً .

بياتريس : ولكن ذلك لم يمنعه من أن يكون شريفا كريماً . وقد اورثني حبه لأداء الواجبات الدنيوية وعزيمته القوية ، وحرصه على العمل .

مونسنيور : آه ! أخيرا اسمع تلك الكلمة الشيطانية التي كانت دائما على شفتي القومندان جيرار .... العمل ! .... وما كنت أنتظر أن أراها يوما من الأيام سببا في هلاك ابنته وخسرانها ... فحينما كنت أراك في « دييجو » تسعين للعناية بالمرضى ، وتقومين بتثقيف أولاد الأهالي ، وتبذلين جهدا عظيما في كل ما يحبب فيك بحارة السفينة « جوبيتير » العتيدين لم يكن حب الخير هو الدافع لك

على هذا النشاط، أليس كذلك ؟ والآن قد تبين لى مع الأسف أن الدافع لك إلى كل هذا ، لم يكن حب الاحسان ، بل تلك الكبرياء العامية التى تسمونها الحاجة إلى العمل ، وهذه الحاجة إلى العمل من شأنها ، يا بنيتى،أن تذهب بصاحبها من العمل الصالح إلى العمل الضار . واليوم أجدك على حافة هذا الأخير .

(يقول ذلك بحدة وغضب ولكنه يتوقف مذهولا حين ينظر إلىوجه بياتريس جامدا ويرى الدموع تتساقط من عينيها) .

أتبكـــين ؟

بياتريس : (بأنفة وترفع) كلا يامولاى .

مونسينيور : علام تبكين ؟ أعلى نفسك ؟

بياتريس : (بتوتر) إذا كنت أبكي ، فإنما أبكى على العدالة .

مونسينيور : (وقد عاد إليه شيء منحنانه) لا تبالغىيابنيتى ولا تفارقى سكونك وهدوءك . أمتألمة أنت إلى هذا الحد ؟

بياتريس : ربمـا .

مونسينيور : أنت متألمة . . . إذن لم يخب أملى فيك . فلو كنت فىهذه اللحظةمشرقة يضيء جبينك بريق الشهوةالخبيث،لكان الصراع فى سبيل الهداية غيرمأمون العاقبة . . . ولكن بكاءك يغير وجه المسألة هيا . . . فلنتكلم . . اجلسى

هنا . . . أنا الآن أمك وأبوك ومرشـدك الروحى
العجوز أفيضى بما عندك ... ماذا فعل بك هذا الأحمق ؟

(إشارة من بياتريس يبدو أنها تريد ان تدل
بها على انه لا فائدة من هذا) .

هيا ، أهى هفوة ما ؟ امرأة علق بها هذا الأخرق ؟...
إذن لقد تشبثت ولم تدركى أن جمـال الحب ينحصر
فى بساطة الغفران .

بياتريس : الغفـران ! . . . هل طلب منى ذلك قط ؟ ولا أقول
بكلمة ، بل بمجرد نظرة ؟ إن المغامرة التى اعترضت
حياتنا لم تسلبنى إلا حطام سعادة ، وذلك أن حبه لى
كان قد مات فى قلبه منذ زمن بعيد . وأنا واثقة من
ذلك . أما أنا فإنى أدين له بأقسى خيبة أمـــل يمكن
أن تصيب قلب امرأة . ولكى تفهم موقفى يامولاى ،
يجب أن تعرف تلك الصورة الجميلة التى كنت أرسمها
فى ذهنى لاتحاد كائنين ، لذلك الامتزاج المطلق المشرق
المجنون ، حيث يقدم كل من الزوجين نصيبه فى المجهود
المشترك ، وحيث أساعده أنا ويقوم هو بحمايتى والدفاع
عنى ، حيث يفنى الشخصان فى شخص واحـد يجابه
الوجود .... تصور إذن إنى أحببته وأنا أدافع عنه .

لقد كان أول عهدى به حين حضر إلى « دييجو » بعد سفرك منها بقليل لتنظيم خطوط الدفاع عن سواحل « أورانجيا » ولم أكد أراه حتى جذبنى بذكائه وصفاء ذهنه ، ثم لم يزل ذلك الميل يعظم شيئاً فشيئا حتى حدثت حادثة حولته إلى حب شديد لم يشعر قلبى بمثله فى يوم من أيام حياتى ، وذلك أنه أصيب فى يوم من الأيام بحمى خبيثة كانت منتشرة فى تلك الأنحاء ، وعلمت أنه مريض فى المستشفى ، وأن الحمى قد اغتالت حياة أكثر الراهبات الممرضات ، فلم أجد بدآمن أن أتطوع لخدمته وتمريضه غير مبالية بتعريض حياتى للخطر من أجله ، ولما دخلت عليه أحزننى منظره إلى أقصى حد ، وعجبت لذلك الجمال الباهر والقوة النادرة ، وكيف استحالا فى بضعة أيام إلى نحول واصفرار يشبهان نحول الموتى واصفرارهم ، فأهمنى من أمره ما يهمنى من أمر نفسى : ولبثت تحت قدميه ثلاثين يوما وليلة أخدمه نهاراً وأسهر عليه ليلا ، لا أشعر بتعب ولا عناء ، لأنى كنت أريد أن أنتشله من بين مخالب الموت وليكن بعد ذلك ما يكون .

آه ! . . لو تعرف يامولاى كم أحببته ، وأحببت أن أرد الحياة إليه نسمة بعد نسمة ، حتى دخل فى دور

النقاهة .. لقد كان ضعيفا رحيما عارفا بالجميل ... ينظر إلىّ بعينين ضعيفتين لا تزالان تغليان بحرارة الحمى ولا تريان أحداً سواى . وكانت الخطبة .. ثم الزواج . وهنا تكشف لى عن كائن آخر ، عاد إلى قوته ، لا يعتز إلا بها ولا يعبد شيئا سواها . تكشف لى عن جندى جبار معتز بقوته وسلطته ، لا يحفل بشىء غيرهما ، ولا يفهم معنى للحياة بدونهما ، ينظر إلىّ نظرة الحاكم للمحكوم والسيد للمسود ، ولا يحاول أن يطلعنى على شىء مما يمس عمله ، ولا يعتبرنى بجانبه إلا آلة صماء خرساء لا تتحرك ولا تتصرف إلا بإرادته هو ، حتى أصبح دورى ينحصر فى دور العشيقة لا أكثر ولا أقل ... نعم .... حينئذ لم يعد يكفينى أن أعترف بل أخذت أصبح ... فقد ثارت كبريائى . انتزعنى هذا الاستعباد من بيتى ، وضرب على بالخمول والسأم أول الأمر ، ثم مالبث أن استحال إلى ثورة ، فلم أعد أرضى بهذه الذلة ... أصبحنا خصمين وفى هذا الحين تصادف عبور إحدى النساء ... فذهب إليها لأنه لم يعد يحبنى ، وأيضاً لكى يرينى مقدار تصميمه على إهمال شأنى نهائياً . ولقد تألمت بطبيعة الحال ، تألمت كثيراً جداً ، ومرحى بنوبة احتضار شنيعة ، ولكن حتى قد

مات وانتهى كل شىء . مولاى صاحب الغبطة ، أنى لم أبلغ الثلاثين بعد . وأريد أن أعيش ... أن أعيش مع رجل جدير بى ... أستطيع أن أجمل مصيره ... فبأى حق أعدل عن هذا الزواج ؟

مونسينيور : (رافعاً ذراعيه إلى السماء فى حركة تشير إلى الغضب واليأس فى آن واحد)

بأى حق ؟ أ إلىّ توجهين مثل هذا السؤال ؟ باى حق ؟

(يسير مضطربا ثم يقف فجأة)

اسمعى ! تقولين انك شابة ، كلا ! الحقيقة أنك مثال المرأة منذ آلاف السنين . فانك سليلة مخلوقات لاعداد لهن ، أعمى أبصارهن ذلك الرأى القـــذر القائل بمساواتهن بالرجال ، وانه لايصح أن يكن خادمات المنزل الزوجى ، بل سيداته المعبودات ، ويغريهن بالتضحية به وهؤلاء إذا كن يتمنين أن يكون الرجل طفلا لهن ، فانهن لايسلمن بأنه السيد الذى أرسلته إليهن العناية الألهية .

بياتريس : لا يامولاى ! إننى لاأقبل ذلك .

مونسينيور : طبعاً لأنك قرأت كثيرا

بياتريس : لم يكن لى بد من أن أملأ فراغ وقتى بالقراءة والمطالعة

وهذا سبيل كل امرأة يهجرها زوجها .

مونسينيور : كان خيرا لك أن تقضى أوقاتك فى الصلوات .

بياتريس : (بحركة ذات مغزى) وقد صليت أيضا .

مونسينيور : ذلك لأنك لم توفى الصلاة حقها . والنساء المتكبرات أمثالك لا يعرفن كيف يؤدين صلاتهن ، لأنهن اتخذن لأنفسهن معبوداً آخر من دون الله ، وهو الكبرياء ، تلك الخلة القبيحة التى جعلتهن جنساً بغيضاً ، وكان فى وسعهن أن يكن أسمى الجنسين وأنه لأهون على المرء أن يهدى ألف كافر من أن يهدى امرأة متكبرة

بياتريس : لأنها لا ترى إلا النبذ .

مونسينيور : (بخشونة) ذلك لأن قوانين الدين لا تهادن قوانين الكبرياء قط ، وعلى كل حال أصغى إلى قليلا . إنك قد سألتنى بأى حق أعارض مشروعك الحبيب إليك فى الطلاق من زوجك ؟ ... وأجيبك الآن بحق هذه الكبرياء نفسها .

بياتريس : أنى لا أفهم ما تقول .

مونسينيور : الزوج الذى تريدين تركه اليوم قد يحتاج إليك غدا .

بياتريس : كلا ... انى اتركه قوياً ، ثرياً ، سعيداً ولم يعد يحبنى .

مونسينيور : أليس لك أولاد ؟

بياتريس : ولد أحبه إلى حد العبادة ، ولايمكن أن يؤثر عليه طلاق بوجه من الوجوه .

مونسينيور : أرى أنك مصممة على فكرتك لاتريدين أن تتنازلى عنها بحال من الأحوال فافعلى ماشئت ، ولكن فكرى فى نفسك أنت على الأقل فإنك على حافة الهوة التى سيتردى فيها حياؤك وعزة نفسك، هذا ماينبغى أن يقال لك وقد قلته لك .

بياتريس : ليس هذا ماكنت انتظره منك ؟

مونسينيور : اذن ماذا كنت تنتظرين ؟ ألا تعلمين أن كل كلمة من كلماتك التى نطقت بها الساعة أمامى انما هى اهانة لهذا الرداء الذى ألبسه ؟ وهل خيل لك جنونك انى كنت أوافقك على هذه الضلالة الشنيعة ؟

بياتريس : لا ياسيدى ماكنت انتظر ذلك .

مونسينيور : فى الحقيقة ! لم يبق إلا هذا ! ألا تدركين إذن أن كلماتك لم تكن كلها إلا شتائم موجهة إلى الرداء الذى ألبسه ؟ . . . وهل كنت تتوهمين ، مثلا ، أن اوافقك على عصيانك ؟

بياتريس : كلا بكل تأكيد .

مونسينيور : إذن لماذا ازعجتنى وأزعجت نفسك بهذا الحديث ؟

بياتريس : لأنى كنت أعتقد أنك الشخص الوحيد الذى يمكنه بما وهبه الله من طيبة القلب ، وبما له من منزلة عظمى فى نفسى ، أن يقنعنى بالعدول عن رأيى بطريقة تتفق مع مبادىء الإنسانية وشرائعها ، وتؤثر على شعورى وعواطفى . ولكنك مع الأسف لم تستقبلنى إلا بهذه الآراء الدينية العتيقة التى وضعها الرجال أنفسهم لاذلال المرأة وتحقير شأنها ، ولذلك لم تزدنى إلا تصميما على عزمى .

مونسينيور : (محتداً جداً) مسكينة أيتها المرأة ! ستصبحين امرأة مطلقة . أتفهمين ماأقول ؟ مطلقة ! والمرأة الكاثوليكية المطلقة كالقس المرتد عن دينه .

المنظر الثانى عشر

(نفس الأشخاص ، وبوكور)

بوكور : (الذى ظهر فى نهاية هذه الكلمات على عتبة باب الشرفة ثم دخل برفق ثم بنغمة عتاب لا تخلو من الاحترام والحزن) مولاى إنك تخاطب امرأة وأخشى أن تكون فى هذه اللحظة قد بالغت معها فى استغلال سنك ومركزك .

مونسينيور : (عاد إلى هدوئه فى الحال) آه . . . قد كان يلزمنى أن أعرف قبل الآن أن هذه الحالة المحزنة أثر من آثارك ياسيدى .

فاهنأ بمـــا عملت وها أنذا أذهب وأترك فريستك
بين يديك .
(يتجه نحو قاعة اللعب . ولكن يفتح الباب
وتدخل منه إيفون مذعرة)

المنظر الثالث عشر

(المذكورون وإيفون ثم فيلت وموريه ومارشان)
(وتيريز وجلوجو ثم جوستان)

إيفون : ماذا جرى ؟ وما هذه الأصوات المرتفعة ؟
(ترى بوكور)
أنت هنا يابوكور ؟ أراهن على أنك اجترأت على ممازحة
صاحب الغبطة بمناقشاتك السياسية ، مع أنى حذرتك
من ذلك .

مونسينيور : لا تتهمى حضرة النائب ياسيدتى ، فأنا الذى كنت
أتناقش معه فى بعض المسائل الأخلاقية البحتة . ولما
كان رأيى فى نظام المجتمع الإنسانى وخلاص الأرواح
يختلف عن رأيه ، فقد ثرت حتى تجاوزت حد الحكمة .

إيفون : أنت شيطان رجيم يابوكور فقد نهيتك نهياً باتاً عن ...
(فى هذه اللحظة تنطفىء كل المصابيح ويأتى
نور قليل من النافذة التى فى الشرفة ولولاه
لعمت الظلمة)

حسن جداً . . . الكهرباء مرة أخرى ! . . .

موريه : (من صالة اللعب) ما هذه الأمور ؟ لا بد أن تكون هناك مكيدة مدبرة ضدى ، إنى كنت أدبر الملك فى هذه المرة .

إيفون : لا تخف يامولاى إنه خلل يسير فى الآلة الكهربائية .

مونسينيور : عندنا من النور ما فيه الكفاية ، لأن كواكب السماء لم تنطفىء . أليس كذلك ياسيد بوكور ؟

بوكور : حقيقة يامولاى . على أن لدينا من المعدات ما يكفل لنا إنارة هذا العالم الأرضى .

(يضغط على زر مصباح صغير فى يده فينبعث ضوء كضوء الكوكب من الركن الذى انزوى فيه)

إيفون : آه ! برافو . . . . هذا جدير بأن يساعدنا .

بوكور : إنها هدية من موريه ، وجيوبه ملأى بأمثالها .

موريه : نعم . . نعم . . ها أنذا آت لنجدتكم !

(يظهر وفى يده مصباحان)

هذه هى الهدايا التى اعتدت أن أقدمها مع سلال الشمبانيا التى أبيعها فمن يريد منكم ؟ تفضلى أيتها الصديقة . تفضل ياحضرة القائمقام ومن هنا ياجلوجو ، ولكن لا أجرؤ أن أقدم واحدة لصاحب الغبطة .

مونسينيور : بل أرجو أن تتفضل على بواحدة إنها جميلة جداً .

(الآن فى يد كل واحد مصباح مضاء مما يجعل البهو كسماء منيرة بالكواكب)

إيفون : (التى ذهبت لدق الجرس) لماذا لم يأت جوستان ! أدولف أنر أنت إذن مصباح النجدة الكبير .

مارشان : (وهو يحك عود ثقاب) ها أنذا أحاول ياعزيزتى ، ها أنذا أحاول ولكنه يبدو أنى أدير الشريط بالعكس .

(يدخل جوستان حاملا شموعاً مضيئة)

إيفون آه . . . ماذا كنت تفعل ياجوستان ؟

جوستان : كنت أجرى ياسيدتى البارونة .

إيفون : أنر المصباح .

(يطيع جوستان بذلك البطء الذى يتصف به المسنون من الخدم فيشعل المصباح الذى فوق البيانو والمصباح الكبير ذا المقعد الموضوع فى أحد أركان الصالون)

مونسينيور : (لإيفون) اسمحى لى أن أعتبر هذه الحادثة بمثابة علامة تذكرنى بأن موعد راحتى قد حل .

إيفون : أنت فى منزلك .

مونسينيور : وأنى أنتهز فرصة هذه الظلمة الخفيفة لا تسلل إلى غرفتى دون أن يشعر بى أحد .

إيفون : سأصحبك ياسيدى أنا والبارون إلى عتبة مخدعك ، ثم نذهب إلى مخادعنا إذ أننا تعودنا أن نترك لضيوفنا كل حريتهم .

(مارشان يقترب)

خذ يا أدولف هذا الشمعدان وامش أمام صاحب الغبطة .

مارشان : (للطران) انى تحت أمرك يامولاى .

(وهم على الدرجات الأولى من السلم)

ايفون : ماذا تحب أن تتناول فى طعام الافطار يامولاى ؟

مونسينيور : أخف الأشياء ياسيدتى قليلا من القهوة مع قليل من الشيكوريا .

(تتلاشى الأصوات فى السلم — يختفون)

المنظر الرابع عشر

(بوكور ، جلوجو ، فيلت ، موريه ،
بياتريس ، تيريز ، جوستان)

موريه : كم الساعة ياجوستان ؟

جوستان : الحادية عشرة والنصف ، ياسيدى الكونت

موريه : اذن شمعدان لى

(متسائلا)

وآخر لمن ؟

فيلت : ولى ياجوستان

جوستان : سأحضر لكل منكم شمعدانا (يخرج)

بياتريس : عندى مصابيح فى غرفتى ، فهل لك ياصديقى موريه أن تقرضنى أحد مصابيحك الصغيرة لأنير به طريق إلى غرفتى ؟

موريه : (يأخذ من فوق البيانو مصباحا مما تركه الآخرون) تفضلى لايوجد هنا شيء أكثر منها .

مساء الخير ياسيدتى

بياتريس : مساء الخير أيها السادة .

تيريز : وأنا وراءك :

بوكور : (لموريه) اسمع ياموريه ... (ينتحى به جانباً)

فيلت : (لدى مرور بياتريس التى لم يصرف نظره عنها منذ بضع دقائق) بياتريس !

بياتريس : مساء الخير . . .

فيلت : (بعد تردد) مساء الخير يابياتريس .

بياتريس : مساء الخير . . .

(يقبل يدها وتصعد السلم وفى هذه الأثناء يدخل جوستان حاملا شمعدانات أخرى

فتأخذ تيريز واحـــدا منها وتتبع
بياتريس.)

المنظر الخامس عشر

(نفس الحاضرين ماعدا بياتريس وتيريز وجوستان)

موريه : (لبوكور) نزهة لمدة ربع ساعة فقط نرتاض فيه لكى
نلين مفاصلنا. أين قبعتى؟

بوكور : لاتتحرك فسأحضرها لك مع قبعتى (يخرج من اليمين)

موريه : (لفيلت وجلوجو) بضع خطوات فى الممشى الطويل ؟
هل لكما فى ذلك ؟

جلوجو : لامطلقا

موريه : الليل جميل !

جلوجو : لايهمنى أن يكون جميلا أوقبيحا !

موريه : وأنت ياسيدى الكولونيل ؟

فيلت : شكراً إذ لابد أكون فى محل عملى فى الساعة السادسة
صباحاً :

موريه : وأين يوجد محل عملك ؟

فيلت : حصن أوربيه

موريه : آه ! . . : أنت أذن تقضى نهارك هناك ؟

فيلت : نعم.

موريه : هذا المبنى الدفاعى الهائل الذى على قمة التل ؟

فيلت : بالضبط

موريه : وهذا مما يكلفنا أيضاً بضع مئات من الملايين ؟

فيلت : حوالى ذلك .

موريه : مساكين دافعو الضرائب ! كيف تريد منهم ، فى هذه الحال ، أن يشتروا شمبانيا.

فيلت : ولن يشتروا منها شيئاً مطلقا ، إذا أغار علينا مغير .

موريه : أتظن أن هناك من يرغب فى غزونا ولاسيما من جهة الجورا ؟

جلوجو : ولكن الحكومة يجب عليها ان تحتاط لكل طارئ .

موريه : حقيقة أيها البطل .

جلوجو : وأن تراقب كل شيء

موريه : انك تدهشنى وما الذى يمكن مراقبته بوساطة حصن أوربيه ؟

جلوجو : خطوط السكك الحديدية السويسرية الجديدة التى تعتبر وسيلة طيبة للتسلل .

موريه : وعلى كل حال أنا أريد أن يكون رأيكم صائبا .

(لفيلت)

ولكن ما علاقتك أنت بمثل هذا العمل ؟ هل أنت من راصفى الطرق ، ياسيدى الكولونيل ؟

فيلت : تقريباً لأن وظيفتى فى الوزارة ملحق بالقسم الفنى الهندسى .

موريه : وإذن ؟ . . .

فيلت : إذن قد أرسلت إلى هنا للتفتيش على الأعمال .

موريه : أنت سيء الحظ فإنى أقضى مثل هذا الوقت فى الصيد والتسلية .

(يدخل بوكور لابساً قبعته وفى يده قبعة موريه)

بوكور : (متجهاً نحو الشرفة) أسنذهب ياموريه ؟

موريه : نعم أيها الزميل ! وأنتم أيها السادة ، أسعد الله مساءكم خشية ألا نتقابل .

فيلت : ليلة سعيدة .

بوكور : ليلة سعيدة .

جلوجو : سعيدة .

(يخرج بوكور وموريه)

المنظر السادس عشر

(جلوجو . . . فيلت)

جلوجو : أطفىء هذه الأنوار يافيلت فلدى كلمة أريد أن أفضى بها إليك .

فيلت : لقد تأخر الوقت ياصديق .

جلوجو : كلا ، هذا أمر خطير .

فيلت : (مندهشاً) وعاجل ؟

جلوجو : إلى أقصى حد .

فيلت : ما هو ياترى ؟

جلوجو : أطفىء .

(يأخذ الشمعة من يد فيلت ويطفئها)

فيلت : إنى متعب جداً ، ولا يمكننى أن أمكث معك أكثر من خمس دقائق .

جلوجو : فيها الكفاية . قل لى يافيلت ألم تكن معاملتى لك على أحسن ما يمكن دائما ؟

فيلت : (مندهشا) بدون شك !

جلوجو : أنت لا تقول ذلك باخلاص إذ لا يبدو فى أفعالك ما يدل عليه ، على كل حال لا بد لنا من مقدمة قصيرة جداً . فيجب أن نحدد الموقف فى بضع كلمات ، حتى نتجنب الصياح فيما بعد .

فلت : الصياح ؟

جلوجو : على الأقل الكلام الذى لا جدوى له .

فيلت : ولكن . . .

جلوجو : لا تقاطعنى وسأختصر كلامى جداً . عندما تزوجت كانت لك ثروة صغيرة لم تلبث أن أضعتها بسبب

إسرافك وإنفاقك دون حساب ، ولم تكن تبالى بذلك كبير مبالاة اعتماداً على أنك الوارث الوحيد لعمتك المسنة الغنيـة مرجريت فيلت المقيمة بساربورج ، فاقترضت على حساب وفاتها مبالغ طائلة ، ولم تعد من المستعمرات إلى الوزارة فى باريس إلا وأنت تجر وراءك ديناً فادحاً ثقيلا يهـدد من كان ضابطا عظيما مثلك .

فيلت : ماذا أصابك ؟

جلوجو : لحظة واحدة . . . وبدلًا من أن تعود بعد نقلك إلى باريس إلى خطة الاقتصاد والحزم لتلافى ما فات ، فإنك زدت فى إسرافك وتبذيرك ، حتى أصبحت وأنت مدير مكتب وزير الدفاع تتخيل أنك أنت الوزير . لأن وزيرك المعتوه لم يكن يكلمك إلا وقد وقف بين يديك وقفــة الجندى أمام قائده . . . وبدا لك أنه لا بد لك من أجل الوصول إلى مركز السيادة الذى تطمح إليه ، أن تظهر بمظهر العظمة والأبهة ، وأن تتوسل بجميع الوسائل إلى الاختلاط بعظماء الرجال فى عالمى السياسة والإدارة وأعضاء الطبقات العليا فى المجتمع الباريسى ، وهذه خطة لا بأس بها ، ولـكنها تكلف غاليا .

فيلت : انى أسألك ماذا أصابك ؟

جلوجو : لحظة واحدة وها أنذا أقول لك، ومما زاد الموقف حرجا انك اتخذت لنفسك عشيقة فى هذه الأثناء ، عشيقة ليست من رعاع الناس إذ أن مدام سلان لا تقنع بالقليل، فكبدتك نفقات كثيرة فوق نفقاتك الأولى حتى اضطرتك إلى اسلام عنقك للمرابين ، وبالاختصار ، لما لم تمت عمتك رغم الثمانين عاما التى تحملها على كتفيها، أصبح موقفك منذ سنتين من أحرج المواقف ·

فيلت : وبعد فانى اسألك ماذا تقصد من سرد هذا التاريخ الطويل؟

جلوجو : نعم،انه تاريخ طويل .... أتذكر اذ كنا فى ليلة من الليالى فى إحدى السفارات الأجنبية ندخن سيجارا لذيذا ونتجاذب أطراف الحديث ؟ فاخبرتك أنه قد سحب عليك عندى بضعة صكوك صغيرة مذيلة بتوقيعك الكريم، ولم أخف عنك ألمى لذلك، لأنى كنت أضمر لك فى قلبى من الود والاخلاص ما أضمره لأمثالك من رجال المستقبل ، فرجوتنى فى تلك الساعة أن لا أهتم بغير شئون نفسى . . .

فيلت : هذا صحيح .

جلوجو : ولكنك لم تلبث أن فهمت أن شئونك المالية قد أصبحت جزءا من شئونى لأن جزءا من صكوكك كان قد

حول علي .

فيلت : هذا صحيح .

جلوجو : ولم تنقض بعد ذلك عشرون دقيقة حتى قبلت مع الشكر والارتياح اقتراحي الودي ، بأن أركز عندي كل ديونك وأصبح أنا دائنك الوحيد

فيلت : هذا حق. ماذا طرأ بعد ذلك ؟ هل لديك ماتأخذه علي؟

جلوجو : لاشي حتى الآن

فيلت : ألم أكن أدفع لك دائما فائدة التجديد ؟ ألم تكن ترى أنك عقدت معي عملية رابحة ؟ .

جلوجو : لنقف عند هذه الكلمة التي ما كنت أنتظرها منك جزاء على معروفي ، وقد تبين لي الآن اني كنت محقاً في تكرار الماضي . وأظن أنه لايمكن لغير جندي أن يتصور أن فائدة الخمسة في المائة تعد عملية رابحة . ألا تعلم ياعزيزي أن هذه بالتقريب هي فائدة المال في بنك فرنسا وأنها لا تساوي فيه الخصم ؟

فيلت : قد يجوز ولكنه الربح الذي حددته أنت نفسك ثم إني أريدأن أعرف إلى أين تريدأن تصل من حديثك هذا ؟

جلوجو : إلى هذه النتيجة، وهي أن أبين لك بمالا يدع مجالا للشك، اني أديت لك خدمة أخوية ، خدمة أخوية بحتة .

فيلت : لقد فرغنا من ذلك ثم ماذا ؟

جلوجو : إذن اعتقد انك لاتظنني مبالغاً إذا جئت إليك الآن وألجأ بدوري إلى حسن نيتك .

فيلت : استمر .

جلوجو : أرجو منك أن تركب القطار غداً إلى «ساربورج» ولكن لا ، فانك لاتستطيع أن تحصل على جواز السفر من هنا إلى الغد . فالأفضل أن ترسل رسالة برقية إلى عمتك لتحضر إلى هنا بنفسها .

فيلت : ولم كل هذا ؟

جلوجو : لتساعدك على سداد دينك الذى يحل ميعاده يوم السبت الآتى ، وأعلم أنى اطلب إليك ذلك على أنه خدمة تسديها إلى .

فيلت : (بعد فترة ذهول) أظنك تهزأ بى ، ياجلوجو ؟

جلوجو : كفى ! كفى ! هذه هى الكلمات التى لاجدوى منها ... لنحسم هذه المسألة بأسرع مايمكن ! . . وسأقص عليك الحقيقة بتمامها ! انى اليوم فى أزمة شديدة ، ولقد طرقت جميع الأبواب التمس السبل إلى حلها ، ولم أظفر بذلك فاضطررت مع الأسف أن أحول الصكوك المذيلة بتوقيعك إلى شخص آخر . فقد وجب عليك اذن أن تكون مستعداً لسداد دينك فى الميعاد . وليس فى استطاعتى أن ادفع عنك ذلك ، فلا تغضب ولا تهيج،

لأنك الآن أمام الأمر الواقع .

فيلت : لاشك أنه قد جن ! .. انت مجنون !

جلوجو : أرجو أن تترك مثل هذا الكلام .

فيلت : أتريد أن أحصل فى مدة ثلاثة أيام على مبلغ مائة وسبعين ألف فرنك ذهباً

جلوجو : لست أنا بل الظروف .

فيلت : مائة وسبعون ألف فرنك !! اننى لا أملك منها الآن فرنكا واحدا .

جلوجو : عمتك ..

فيلت : لا تقل هذا .... فانت تعلم أن عمتى لن تعطينى سنتيما واحدا . ولقد حاولت من قبل مرارا أن تقدم لى شيئاً من المساعدة فلم تقبل وأنت أعلم الناس بهذا .

جلوجو : ولكن فى حالة يأس كهذه .....

فيلت : حتى فى هذه الحالة بل خصوصاً فى هذه الحالة ، اتظن انى أستطيع أن أتقدم لهذه السيدة التى هى البخل مجسما ، وأخبرها انى مدين بمائة وسبعين الف فرنك ، دون سبب غير سبب الإسراف ؟ لاشك أنها فى هذه الحالة لن تكتفى بالرفض بل ستطردنى من بيتها وربما حرمتنى

من ميراثها فتكون الطامة الكبرى !

جلوجو : لاأدرى ماذا أقول لك . فتش ، ابحث . أن رجلا مثلك لا يتعذر عليه أن يجد الوسيلة إلى الخلاص ، ولقد سبق لك أن بحثت فوجدتنى .

فيلت : (متهكما) وكان هذا من حسن حظى على ما أرى !

جلوجو : لاتكن ناكرا للجميل

فيلت : حسبك مزاحا ياجلوجو

جلوجو : حقيقة ليس هذا الوقت وقت مزاح !

فيلت : كن صريحاً ! لماذا هذا الشرك ؟

جلوجو : شرك !!

فيلت : إذن ماذا تريد أن أسمى هذا العمل ؟ إنك تريد قتلى ، قاصداً متعمداً أفأسألك عن سبب هذا التصرف القاسى ؟

جلوجو : لنتجنب المغالاة أولا وقبل كل شيء ! فلست أنت أول مدين عاجز عن التسديد ثم قدم المحاكمة !

فيلت : قدم للإعدام ! للفضيحة ! هذه هى الكلمة الصحيحة .. اسمع ياجلوجو لقد أشرت فى حديثك إلى ما كان لى

من حول وطول وأنا مع الوزير السابق ، ولكنك لا تجهل أن مركزى اليوم يختلف عنه بالأمس لأن الوزير الحالى هو وأركان الحرب العامة يناصبوننى العداء ، ويتربصون لى الدوائر ، ولا يهمهم شيء غير إسقاطى والتنكيل بى. ولا ذنب لى عندهم إلا أننى أمثل التقدم العسكرى وفنونه الحديثة بكل معانيه ، وهو الشيء الذى يكرهونه جـــداً ، ويخشون أن يقضى عليهم . وهذه فرصة مواتية للقضاء علىّ ،وحينئذ سترى كل شيء يذهب فى الهباء . مجهوداتى ومطامعى والمعارك العديدة التى قمت بها ، والمواقع الكثيرة التى كسبتها .. وتذكر ياجلوجو أنى سأصبح لواء فرقة بعد أربع سنوات ، ثم لواء جيش ثم وزيرا ..

جلوجو : (متهكما وببرود) وحاكما مطلق التصرف .

فيلت : (بشدة) نعم ، إذا كان ذلك فى مصلحة الوطن .

جلوجو : (بشدة وفظاظه) إذن فادفع ما عليك .

(حركة من فيلت كأنه يريد أن ينقض عليه ولكنه يتمالك نفسه بكل مشقة بينما يستأنف جلوجو كلامه)

نعم . ما دمت واثقاً من نفسك إلى هذا الحد ، وما

دامت لك كل هذه المطامع وكل هذا الشأن ، فإن فى
وسعك التغلب على جميع الموانع وتخطى جميع العقبات .
وليست الوسائل هى التى تنقصك فأمامك مثلا مهر
زوجتك وقدره مائة وخمسون ألفاً من الفرنكات ،
فاحصل عليه وادفعه .

فيلت : ولكن يلزمنى توقيعها .

جلوجو : اطلب منها ذلك .

فيلت : وهذه مسألة أخرى . . . يخيل لى أنك تجد لذة عظمى
فى الوقوف على أسرار حياتى ومعرفة شئونى الداخلية ،
إذن لقد ظفرت بما تريد وسأقص عليك تلك المأساة
المحزنة التى تمثل فى بيتى اليوم . إن الحرب سجال بينى
وبين زوجتى ، فمنذ عشرة أشهر ونحن مفترقان افتراقاً
تاماً ، حتى أن الأبواب التى بين مخدعى ومخدعها
موصدة بالأقفال والمزاليج . وهى الآن على وشك
الإفلات من يدى ، وهذا ما يؤلمنى ويقض مضجعى
لأنى أحبها أقصى الحب ، وأوشك أن أجن من شدة
حبى لها .

جلوجو : أهذا ما تريد أن تقنعنى به ؟ ومدام سلان ؟

فيلت : مدام سلان ، إنها لا تزيد فى نظرى على أية فتاة من
فتيات البغاء ، أخذتها فى ساعة ملل ثم تركتها بكل نفور

واشمئزاز . أما بياتريس فهى المرأة الوحيدة التى تغلغل حبها فى قلبى حتى بلغ سويداءه وامتزج بدمى ولحمى امتزاج الأرواح بالأجسام ، وهى التى نزلت من نفسى منزلة لم ينزلها أحد غيرها من قبلها أو من بعدها ومن أجلها أحببت أن أعلو وأرتقى ، وفى سبيل إسعادها وترفيهها أنفقت المال الذى وقعت بسببه بين مخالبك . وقد اشتد التصارع فى هذه الأيام بينى وبينها . فهى تحاول أن تفلت من يدى ، وأنا أحاول أن أحتفظ بها ، معالجاً منها ما يعالج السائس من المهر الجموح . ولأجل أن أتغلب عليها يجب أن أبقى فى نظرها صاحب جاه ونفوذ أملأ قلبها وأبهر عينيها بقوتى وعظمتى ، وأقل تردد منى فى هذه الساعة يقضى علىّ ويفقدنى كل شىء . فهل تتصور بعد ذلك أنى أستطيع أن أقف بين يديها ضارعا متذللا ، معترفا لها بحقيقة أمرى ممزقا عن نفسى ذلك الستار الذى يحجبنى عن عينيها ، لأسألها المعونة والمساعدة ؟ وهل ينفعنى ذلك المال القليل الذى تتصدق علىّ به حينما أراها تحتقرنى وتتركنى وتترامى بين ذراعى رجل آخر ؟ لقد علمت الآن ياجلوجو كل أسرارى ، ورأيت بعينيك ذلك القلب الدامى الحزين الذى يختلج بين

أضلاع فيلت البطل الهائل فهل يليق بك بعد ذلك أن تغمد خنجرك فى ظهرى دون انتظار لفائدة سوى حب الأذى والتلذذ به كما يفعل المتوحشون .

(فترة صمت)

جلوجو : (بتأن وارتياح هادىء) حسن . . . حسن . . .

(يتمشى)

لقد كان شعورى صحيحا حينما ظننت أن الصخرة جوفاء، وأن الرجل الذى يحسبه الناس رجل همة وإقدام ليس فى الحقيقة إلا رجل امرأة ، حسن جداً . . . حسن جداً .

فيلت : (يستعيد ثباته وينتصب قائما) لا تغتر بما رأيت من ضعفى ياجلوجو فإنها الساعة الوحيدة التى جزعت فيها فى حياتى ، لكثرة ما نالنى من التعب والنصب . ولم أزل رجل الهمة والإقدام كما تقول . وعلى كل حال فدعنا من هذه الأشياء وأخبرنى عن غرضك ، هل تريد أن تجدد ميعاد الدين على حساب عشرة فى المائة ؟

جلوجو : (هازاً كتفه) أنت أبله .

فيلت : (بعظمة) تكلم بنغمة غير هذه النغمة ياجلوجو ! ولننته من هذه المسألة أتريد عشرين فى المائة ؟

جلوجو : يخيل لى أنك محموم ، فهدىء من روعك .

فيلت : نعم عندى قليل من الحمى ، فيجب أن ننتهى .

جلوجو : ألم تكن الفرصة سانحة لى من مبدأ الأمر أن أحصل على العشرة فى المائة أو على العشرين ؟

فيلت : ربما .

جلوجو : بل بالتأكيد . . . فلو كنت إذن أريد الربح لحصلت عليه منذ سنتين بكل سهولة ، بدلا من أن أنتظر كل هذه المدة . إنك مخطىء فى ظنك يافيلت .

فيلت : فلننته من هذه المسألة . ياجلوجو .

جلوجو : أكرر لك ، بل أؤكد لك ، أنه من المستحيل علىّ مساعدتك .

(صمت طويل ، يرتمى فيلت على كرسى وهو يعض نواجذه ، ويكاد يتميز من الغيظ ولكنه غيظ العاجز)

ولكن أنتظر ... فربما لاح لى بعض الأمل .

فيلت : أين هو ؟

جلوجو : الشخص الذى بعته صكوكك .. هذا الجبار يمكننا أن نتغلب عليه . أتريد أن أفاوض معه ؟

فيلت : وبأية طريقة ؟

جلوجو : طريقة مؤكدة .

فيلت : لم كتمتها عنى حتى الآن ؟

جلوجو : لأن ذلك الرجل كان قــد عرضها علىّ من قبل ، فرفضتها رفضاً باتا . ولـكن هـذه الحالة المحزنة التى أراك عليها الآن جعلتنى أفـكر فيها ثانية .

فيلت : كنت رفضتها ؟ ولماذا ؟

جلوجو : لأن هؤلاء الناس لا يقدمون خدمة بدون مقابل .

فيلت : هؤلاء الناس !! من هو ذلك الرجل ؟

جلوجو : هو مقاول كبير من مقاولى الأعمـال العامة . . مقاول أجنبى .

(يقوم فجأة بإشارة للصمت ويرهف إذنه)

ألا تسمع أصواتا ؟

فيلت : لا . ماذا كنت تقول ؟ مقاول ؟

جلوجو : (يذهب وينظر من باب الشرفة) كان ظنى فى محله ..... هاهما ذان مقبلان فى نهاية الممشى . لا يمكننا التحدث هنا ، فلنذهب إما إلى غرفتى وإما إلى غرفتك .

فيلت : ولـكن . . .

جلوجو : (بسرعة) فى غرفتك كما تريد ، وسأوافيك اليها بعد عشر دقائق مسافة المرور بغرفتى فقط .

(يأخذ شمعدان فيلت ويصعد السلم يتبعه فيلت بنظرة)

فيلت : (وحده مندهشـــاً) ماذا ؟ . . . ماذا ؟ . . . ماذا
يريد مني ؟

(يصدر حركة انفعال شديدة بيده وبأكتافه
كأنما يحاول طرد فكرة فظيعة مرت بخاطره)

لا . . . . لا . . . . هذا مستحيل . . . هذا مستحيل .

(يذهب بدوره إلى السلم)

(ســـتار)

الفصل الثانى

(مخدع بياتريس فى الدور الأول من القصر. الأثاث فاخر ، ولكنه يخلو من الرهبة فهى غرفة سيدة ، تفاصيل أنيقة . ستارة كبيرة من المخمل تغطى باب الدخول لحجرة الزينة على باب الممر ، باب مزدوج يصل غرفة بياتريس بغرفة زوجها ، أحد مصراعى الباب مغطى بدف مزركش والثانى الذى يتكون من لوحات فنية كبيرة مغلق بالقفل ، شباك مرتفع يطل على بستان القصر)

المنظر الأول

آنيت (وحدها) ثم بياتريس ، ثم بياتريس (وحدها)

(مصباح كبير منار فى ركن من أركان المخدع ، ومصباح أصغر منه على المنضدة التى تستخدم كمكتب . عندما يرفع الستار ترى آنيت وصيفة بياتريس واقفة دون حركة بالباب المطل على الممر وقد ارتدت ملابسها على عجل ودون تأنق ، بعد أن قفزت من سريرها ، وقد وقفت وإحدى يديها على أكرة الباب الذى فتحته وكأنها تتردد فى الدخول وفى اليد الأخرى شمعدان ، تجيل نظرها فى المخدع

وهى مضطربة قلقة ، ويبدو أن هـذا البحث قد طمأنها ، تضع الشمعدان فى الممر دون أن تطفئه وتتقدم بضع خطوات فى الغرفة بعـد أن ردت الباب وراءها بعض الشيء ، ولـكن دون أن تغلقه تمـاما .

تمر بضع ثوان ترفع ستارة غرفة الزينة ، وتظهر بياتريس مرتدية رداء الغرفة ، وهو رداء ذو ثنايا ضخمة عاقها التسرع عن تزريره ، ولذا ترى ملتفة به وقد وضعت يدها اليسرى على حافتيه لـكى يظل مطبقاً تعتريها الدهشة حين تلمح آنيت).

بياتريس : كيف ! أأنت هنا يا آنيت ؟

آنيت : نعم ياسيدتى... نعم .

بياتريس : منذ كم من الزمن ؟

آنيت : الآن فقط ياسيدتى .

بياتريس : ومن أين أنت آتية ؟

آنيت : من غرفتى ياسيدتى نزلت الآن من غرفتى .

بياتريس : ولمـــاذا ؟

آنيت : لاأدرى ياسيدتى اعترانى الخوف، اعترانى خوف شديد .

بياتريس : حقا ، أراك مرتعدة الفرائص وكيف أصابك هذا ؟

آنيت : لا أدرى ياسيدتى . وكل ما أعرف أنى ذعرت ذعراً شديداً .

بياتريس : ربما كان كابوساً !

آنيت : بالتأكيد لا . . . لا .

« تتنهد »

وقد سرنى أن أرى سيدتى .

بياتريس : اجلسى أن ساقيك تكادان تنهاران من تحتك !

آنيت : (تقوم باشارة تدل على الرفض) الآن اطمأنت نفسى والحمد لله . . .

بياتريس : ولكن ماذا سبب لك هذا الفزع ؟

آنيت : أنها أصوات وضوضاء سمعتها .

بياتريس : ضوضاء . . . ؟ أليس من الغريب أن تفزع فتاة متينة البنيان مثلك لسماع بعض الضوضاء ؟

آنيت : لست ياسيدتى ممن يحبون الاصوات غيرالطبيعية داخل القصور القديمة

بياتريس : حقاً لقد نسيت أنك من سكان مقاطعة بريتانى .. وتخشين ظهور العفاريت !

آنيت : العفاريت أوالجن !! على كل حال ياسيدتى أنا لاأحب سماع الضوضاء ليلا فى القصور القديمة التى يضل الإنسان فى رحباتها الواسعة، ودهاليزها الطويلة ، وهذا النبيذ الذى يسمونه فى القصور نبيذ « الموزيل » ليس إلا نوعاً من النبيذ الأبيض الذى يثير الأعصاب ، فقد حاولت النوم بعدأن شربته، فلم استطعه ، وبينما أنا اتقلب فى فراشى من شــدة الحر إذ طرقت أذنى تلك

الضوضاء العالية بشكل مخيف ، فانتفضت من فراشى وأنفاسى تكاد تتقطع من الفزع

بياتريس : وما نوع هذه الضوضاء ؟

آنيت : سمعتها فى الغرفة التى تحت غرفتى أى فى غرفتك هذه . فخيل لى الفزع كأن سيدتى سقطت من سريرها . ثم أعقب ذلك سكون عميق خفت منه أكثر مما خفته من الضوضاء .

بياتريس : أنت على حق يابنيتى . . . لاتشربى من هذا النبيذ مرة أخرى ، ولاسيما فى المساء .

آنيت : سأعمل بذلك الرأى ياسيدتى

بياتريس : مساء الخير يا آنيت

آنيت : اذن . . . اذن لم تسقط سيدتى من سريرها ؟

بياتريس : لم أسقط من السرير ولا من غيره ، مساء الخير يا آنيت .

آنيت : أمر عجيب جدا . ولكنى سمعت ذلك بدون شك .

بياتريس : انك لم تسمعى شيئا ، ولكن خيل لك ذلك .

آنيت : بل سمعت ذلك ياسيدتى ، سمعته كما أسمعك الآن ، وقد كان من شدة تأثيره على أن تصبب العرق من جبينى ، وقلت فى نفسى لابد أن تكون سيدتى نالها الأذى وهى الآن تتألم . فلا بد لى من الذهاب إليها فلبست ردائى بسرعة ، وفكرت فى أن أدعو معى جوستان أو غيره

من الخدم . ولكنى ذكرت انهم ينامون فى الجناح الآخر من القصر كما كانوا يقولون ، وخفت أن يفوت الوقت ، فجئت وحدى . ولما وصلت إلى الباب طرقته مرة فلم أسمع حركة ، فطرقته أخرى . . . .

بياتريس : كنت فى غرفة زينتى . . .

نانيت : لم أكن أعلم ذلك. ولذلك اشتد خوفى ، حتى كاد رأسى ينفجر ، وشعرت أن قدمى تضطربان اضطراباً شديداً ، وأنى لا أقوى على الوقوف فكدت أصرخ صرخة الاستغاثة . ولكنى لم أفعل ، ولا أدرى لماذا؟ ثم تقدمت إلى الأكرة بدون شعور وأدرتها . ولشد ما كانت دهشتى حينما رأيت الباب يدور على عقبه وينفتح فلابد أن تكونى ياسيدتى قد نسيت اغلاقه بالمفتاح .

بياتريس : نعم نسيت ذلك ، لأنك بعد أن تركتنى ، جلست نحو ساعة أكتب فشعرت بالتعب ، ودخلت غرفة زينتى ، أخلع ملابسى ، لأتهيأ للنوم ،

نانيت : (منزعجة) دون أن تغلقى الباب ؟

بياتريس : قلت لك أنى نسيته ، ولا داعى لهذا الانزعاج ، لاننا فى بلد آمن ، وفى منزل أصحابه من الأمناء ، ليس به أشباح كما فى بريتانى ، ولا لصوص كما فى باريس .

آنيت : لكن ذلك لا يمنعنى من تفضيل باريس ألف مرة على هذا المكان ، لأنها وإن كانت كثيرة اللصوص ففيها بوابون للبيـــوت وحراس فى الشوارع يمكنهم أن يوقفوا هؤلاء اللصوص عند حدهم ، وينزلوا بهم أشد العقاب

بياتريس : لا أستطيع الوقوف من شدة التعب يا آنيت ، كما أنى فى حاجة إلى النوم

آنيت : ليتنى مثلك ياسيدتى :

(تتراجع وهى تتأفف)

لعنة الله على هذا المنزل ، (لدى الباب) أرجو أن لا تنسى ياسيدتى أن تغلقى الباب جيداً .

بياتريس : (ممسكة بالباب مفتوحا) بالمفتاح يا آنيت ومرتين إذا كان ذلك يسرك

آنيت : (وهى فى الخارج) هذا يسرنى .

بياتريس : مساء الخير يا آنيت ! وإياك إن تذوقى النبيذ الأبيض فى الغد .

آنيت : (تلتقط من الممر شمعدانها) يمكن سيدتى أن تطمئن على ذلك . . . مساء الخير والعافية لسيدتى .

(ترد بياتريس الباب وتغلق الترباس بصوت
يجلجل ثم تنصت قليلا وبعدها تفتح الترباس
بتحفظ، توارب الباب قليلا وتنصت بإمعان لتتأكد
من أن آنيت ليست بالدهليز ، وترد الباب بلطف
دون إغلاق وتتجه نحو المنضدة وتأخذ أوراقا
كانت قد كتبتها ثم تقف تحت المصباح الكبير
وتراجع ما كتبته . يدق الباب فتبدر منها حركة)

بياتريس : (متضجرة) ! أيضا !

(تذهب لوضع الأوراق على المنضدة ، وتتجه نحو الباب)

هى أنت أيضاً يا آنيت ؟

(يجيبها صوت خافت . مندهشة)

أهو أنت ! . . ماذا تريد ؟

(غمغمة)

كيف !

(تنصت إلى ما يقوله لها صوت غير مسموع
من الجمهور)

كلا . . . أبدا . . . ، أبدا . . . لحظة . . انتظر لحظة . . .

(مضطربة تصلح شعرها وتزرر رداءها ، وبعد
أن تنتهى من ذلك تفتح الباب فيظهر فى الممر
المظلم شبح فيلت يدخل شاحب الوجه)

المنظر الثانى

« فيلت ، بياتريس »

فيلت : ألم تنادى أحـــدا ؟

بياتريس : لا . . . أبداً . . . ومن أين لك هذا الظن ؟

فيلت : لا أدرى .. ظننت ذلك .. هل خرجت آنيت من عندك ؟

بياتريس : منذ هنيهـــة .

فيلت : (بصوت متقطع) إذن لم يخطىء نظرى فقد بدا لى أنى أرى شبحها فى طرف الممر . وكنت قبل ذلك قد أحسست بحركة ذهاب وإياب . . . فواربت غرفتى . ألديك قليل من الماء ؟ انى فى شدة الظمأ .

بياتريس : نعم عنـــدى . . . ماء فقط ؟

فيلت : نعم . . . قدح من الماء

بياتريس : انتظـــر

(تذهب إلى غرفة الزينة . فيلت ، وحيداً، يمر بيده على جبينه ، وينظر نظرة شاردة إلى الباب الموصل بين غرفته وغرفتها ، ثم يذهب فيفتحه وينظر من خلاله قليلا ثم يغلقه بعصبية ، ويعود إلى مكانه . تظهر بياتريس ومعها دورق وكوب)

فيلت : أشكرك . . .

(يشرب بشراهـــة)

والآن أظنك فهمت السبب فى مجيئى الآن . . . رأيت الخـادمة خارجة من عندك ، فى مثل هذه الساعة التى تعودت أن تـكونى فيهـا مستغرقة فى نومك فظننت أنك مريضة . . .

بياتريس : مطلقاً . . . مطلقاً . . .

فيلت : وكان ذلك استنتاجاً ممكناً ، بعـــد التعب الذى لاقيته اليوم . . . فى هذه الرحلة . . .

بياتريس : كلا . . . وأنا على خير حال .

فيلت : سيان ، ولـكن من الممكن أن أظن ذلك .. وقد طرقت هذا الباب دون جدوى .

(ويشير إلى البـاب الفاصل)

فزادنى سكوتك قلقاً .

بياتريس : من المستحيل سماع أى شىء من خلال هذا الباب المزدوج

فيلت : (بلهفة) هذا ما حدثتنى نفسى به . لا يستطيع المرء أن يسمع شيئاً أليس كذلك ؟

بياتريس : لا شىء ، مطلقاً .

فيلت : وبالاختصار خرجت من غرفتى ورأيت شعاعاً من

الضـــوء على أرض الممر فقلت أنه لا بد أن يكون
هناك شيء ما ، شيء غير عادى . . .
(يشرب قدحاً آخر من الماء فى جرعة واحدة
بياتريس تلاحظه مرتابة) .

بياتريس : لا شيء بالمرة وإنما تأخرت قليلا فى كتابة بعض
الرسائل ، ثم حضرت آنيت ، وباغتتنى لأنها شعرت
بخوف ، وهى فى غرفتها .

فيلت : (جامداً من تأثير هذه الكلمة) من أى شيء ؟

بياتريس : من لا شيء فهذه الفتاة البلهاء من بلد معروفة بتصديق
الخرافات . . ولما كانت قد سمعت بعض الضوضاء . .

فيلت : (على الحالة السابقة) ضوضاء ! أى ضوضاء ؟

بياتريس : لا أدرى . وعلى كل حال فقد هدأت روعها ، وصرفتها
إلى غرفتها وكنت فى تلك الساعة على أهبـــة النوم ،
لأنى وإن لم أكن مريضة ، أشعر ببعض التعب وبما
أنك أنت أيضاً قد اطمأن قلبك من جهتى . . .

فيلت : (بدون أن يرد عليها) أن الإنسان يكاد يختنق فى
غرفتك هذه وأظن أن السبب فى ذلك هذه المصابيح .
ألا توافقينى على أن الهواء هنا فاسد غير صالح للتنفس ؟

بياتريس : أما كونه غير صالح للتنفس فهذه مغالاة ولكنى أوافقك على أن جوها حار بعض الشيء . وبما إنى متعودة أن أنام والنوافذ مواربة فإنى بعد خروجك ....

فيلت : (مفاجئا) لا تنتظرى حتى أخرج ، بل نفتحها الآن ، لأنى كما قلت لك أشعر بأنى أكاد أختنق .

(يذهب إلى النافذة فيفتحها ، ويستنشق هواء الليل بملء رئتيه ، يزداد قلق بياتريس اضطرابا . تلقى نظرة وجل وخوف على الساعة ثم على باب الممر ، تضغط أيديها بحركة عصبية فتلتويان فى إشارة تململ ملىء بالقلق) .

بياتريس : أغلق هذه النافذة

(يلتفت مرتعداً كما لو كان قد نسى وجود بياتريس وكما لو كان قد فوجىء بصوتها . يزداد تضجرها)

أغلق هذه النافذة وسأفتحها بنفسى عند ما أريد .

(يطيع صامتا)

والآن أكون شاكرة لو تركتنى فإنى فى حاجة إلى الراحة

(لا يرد عليها . ويبقى جامدا ، مسنداً ظهره إلى النافذة ، ويمعن النظر فيها) .

هل أنت سامع ؟

(سكوت)

ولماذا تنظر إلى هكذا ؟

(سكوت)

لم لا تجيبنى ؟

فيلت : (بوداعة) بياتريس أرجو أن تسمحى لى بقضاء هذه الليلة فى غرفتك

بياتريس : (مندهشة) ماذا تقول ؟ (صمت) أظنك لاتعنى ماتقول؟

فيلت : (بتلطف كثير) تذهبين أنت إلى سريرك، وأنام أنا على هذا الكرسى إلى الصباح . فلا تشعرين بى ولا ترين وجهى وعند طلوع الفجر أغادر غرفتك .

بياتريس : (باستهزاء) أجاد أنت فيما تقول ؟

فيلت : منّى على بذلك ، فهو طلب لا يكلفك شيئاً .

بياتريس : حقاً ؟

فيلت : ولا تسألينى عن شيء وامنحينى هذه المكرمة واذكرى أنى لم أطلب منك شـيئاً فى حياتى . قولى نعم ، بكل بساطة ، باشارة من رأسك فقط .

بياتريس : حقاً ؟

فيلت : بل لا تقولى شيئاً ! أتركينى هنا ، وانصرفى أنت إلى سريرك وافرضى أنى غير موجود فى هذا المكان

مطلقاً . ولك على ألا أنبس بحرف واحد فأطفئ المصابيح ونامى وكونى على ثقة من أنك ستكونين كما لو كنت وحدك .

بياتريس : حقاً! أهذا هو اكتشافك الجديد ! الواقع أنه أمر بسيط فى غاية البساطة ! وفى غاية الثقل أيضاً ! يا لك من حاذق ! نعم إن هذه الطريقة هى بعينها تلك التى يلجأ إليها عمال الرصف لحل مشاكلهم العائلية . . . وبها يرى كل من الطرفين أن كرامته قد حفظت ، ولكن زوجات عمال الرصف ترضيهن هذه الطريقة ، فكأنهن يشتركن فى تلك المؤامرة ! هذا ما يجب أن أقوله لك . أما نحن فإننا لم نصل بعد إلى هذه الدرجة من الابتذال ... أو على الأقل لم نصبح أهلا لها وربما كان فى استطاعتك أن تتخذ هذا الأسلوب مع مدام سلان عند ما تريد استرضاءها ، فهى تقبله منك لأنها من أولئك الممثلات العاميات بأخلاقها وطباعها . هذه على الأقل هى الحالة التى أتخيلها عليها ولكنك هنا لست أمام مدام سلان بل أمامى أنا .

فيلت : (دون أن تزايله وداعته) بياتريس أتركينى أقضى الليلة هنا فى هذه الغرفة ، ولك على أن لا أضايقك بكلمة

أو بنظرة . أعاهدك على ذلك بكلمة الشرف

بياتريس : نعم ، أنى أعرف قيمة عهد الشرف عندك . أوه ! على الأخص أرجوك أن تترك هذه النغمة ! . . . . . وكن كما كنت دائما ، فإن طريقة التواضع هذه لا تليق بك . أتتوهم أنى سأخدع بها لحظة واحدة ؟

فيلت : لم أتعود المخادعة يا بياتريس ، وأنت أدرى بذلك .

بياتريس : (بين الشدة واللين) ماذا جرى ؟ لم أتعود أن أراك كما أراك اليوم . أين عظمتك وكبرياؤك ؟ إنى لم أرك فى يوم ما خافض الرأس خافت الصوت حتى تكاد تتوسل .. أن من يرانا على هذه الحالة يعتقد أننا لم نصطدم قط . . . يعتقد أنك لم تسحقنى سنين طويلة تحت سلطانك الثقيل ! . . فانزع عنك هذا القناع ! . . . لقد جئتنى لهذا الغرض عينه منذ ثلاثة شهور ، وهجمت على فى غرفتى هجوم الوحش الكاسر ، وعيونك محمرة كالدم ، وأسنانك مصطكة من شدة الغيظ ، وشهوتك البهيمية تملأ أعصابك حدة وهياجاً تريد أن ترغمنى على الخضوع لك ، فلم أخضع ولم أستسلم . وما كنت أخضع ولو بلغت فى شراستك نهايتها ، وقطعتنى إرباً

ولـكن هذا كان أشرف فى نظرى . أما هذه الوداعة المتزجة بالنفاق التى تقبـل على الآن بها . . وأنت تتزلف وتتذلل بهذه الصورة أتدرى أثرها فى نفسى ؟

(تبدى علامة اشمئزاز بحركة من كلتا يديها ثم تتابع حديثها بنغمة أكثر برودا ووضوحا وهدوءا) .

اسمع ! لقد أزف الصبـاح . . . وأنا الآن مرهقة . . . مرهقة إلى أقصى حد ... لكنى ولو كنت فى شدة التعب مصممة . وها أنت ذا ترى ألا فائدة ، لا بالحيلة ولا بالإكراه .

واذكر ذلك العهد الذى أخذته على نفسك بعد تلك الحادثة الفظيعة التى أعدت عليك وصفها . كن حكيما ، واذهب عنى أرجوك !

فيلت : (دون أن يتحرك أو تتغير لهجته التى تنم عن الحزن) أحب أن أحادثك ، يا بياتريس !

بياتريس : وهذه مسألة أخرى ؟ كنت تقسم لى منـذ لحظة أنك لن تضايقنى ولو بكلمة واحدة والآن تريد منى جلسة محادثة ! محادثة بعد منتصف الليل ، فى ركن هادىء جداً من غرفة منعزلة تبعد خمسين متراً عن أقرب جناح

مسكون ويفصلها عن غيرها حوائط صماء لا ينفذمنها الصـــوت !

(يهز كتفيه)

هز كتفيك الثقيلتين كما تشاء ! واعلم أن سهمك لن يصيب مرماه لأن خادمتى آنيت على مقربة منى ، ويمكنها أن تسرع إلى نجدتى عند أول صيحة . . . هذا وقد يكون أحد الأشخاص عابراً بالممر ، فترســـله العناية الإلهية لنجدتى . وعلى كل حال أؤكد لك أننى مستعدة لتحمل الفضيحة والعار ، والتعرض لسخرية الناس واستهزائهم مستعدة لكل شىء . . . .

(بعد لحظة)

صـدقنى فيما أقول ؟ وتنـازل عن مشروع كله فظاظة وبلاهـــة .

فيلت : لا بد لى أن أحادثك يا بياتريس ، ولا مشروع عندى سوى ذلك . . .

(حركة من بياتريس)

، نعم،أعترف أنى كنت مجنوناً فى تلك الليلة التى تتحدثين عنها ، ولكنك تعلمين أنى أسفت على ما كان منى ، وبرهنت لك على أنى عدت إلى التحكم فى نفسى ، منذ ذلك الحين .... أنظرى إلى ! أنظرى إلى جيداً !

ألا ترين ، أنت نفسك ، أنك أمام رجل آخر ؟

بياتريس : إنى أخاف هذا الرجل الآخر أكثر من السابق .

فيلت : يا لسوء نظرتك ! هل ترين فى ما يخيفك منى ؟

بياتريس : إن كنت حقيقة لا تضمر لى شراً ، فبرهن لى على ذلك بخروجك من هنا .

فيلت : بياتريس !

بياتريس : لننه هذه المناقشة . . . ألا تريد أن تخرج ؟ فى هذه الحالة أنا التى أترك لك المكان! فابق فيه ! إن كان لابد لك من البقاء وسأذهب إلى غرفتك لأنام فيها . واعلم أن البـــاب الذى بينى وبينك سيظل محصناً برتاجه الفولاذى . طاب مساؤك !

(تخطو خطوة نحو الباب الفاصل فيقف فيلت فى وجهها ويسد عليها الطريق) .

فيلت : (بصوت متغير أجش يخالطه شىء من الرعب) قفى لن يمر أحد من هنا !
(لحظة صمت ثم بنغمة هادئة)
لن يمر من هنا أحـــد .

بياتريس : آه . . . ها أنتذا قد عدت إلى طبيعتك ! فلم يطل بك المدى ! . . أنت لا تعـــرف النفاق أو على الأقل لا تعرف التمادى فيه لزمن طويل .

(تريد أن تتجه نحو باب الممر ، فيعترض بينها وبينه من جديد ؛ ثم يغلقه بالمزلاج) .

أوه ! أوه ! عدنا إلى وسائل العنف . . . ولكنى أفضل هذه السبيل فهى على الأقل تخلو من الخداع .

فيلت : (أمام الباب مستعيداً هدوءه وو داعته) يجب أن أتحدث إليك يابياتريس .

بياتريس : (متراجعة خلف منضدة) أراك تقتحم أبوابى . . أنحن إذن على أبواب مأساة فاجعة ؟

فيلت : لقد عبرت عن الحالة الواقعة تعبيراً صحيحاً .

بياتريس : إذن لقد برح الخفاء !

(متحدية ولكن ببساطة)

ولكن تأكد أن من الأهون عليك أن تقتلنى .

فيلت : إنك تتكلمين كلاماً لا جدوى منه . . .

بياتريس : لك الحق فيما تقول ! فالأبواب تحت أمرك ، وأنت على كل حال أقوى الطرفين .

فيلت : لم أعد أقوى الطرفين يابياتريس .

بياتريس : هذا غير ما قلته منذ ساعة لبوكور ! نعم ، قد سمعت قولك ! أفتظن أن هذا التواضع الذى أراه منك يغير رأيى فيك ؟

فيلت : نعم ، منذ ساعة كنت أقوى الطرفين ... أما الآن فلم أعده .

بياتريس : واغوثاه ! هل يكفى مرور جزء من الليل ؟ ...

فيلت : لهدم حياة ؟ نعم .

بياتريس : أرجوك أن تبحث لك عن خطة أخرى لأن التواضع لايليق بك ، وبخاصة أن خداعك لا يلبث أن يكشف عن نفسه . . . وأخيراً ماذا تريد منى ؟

فيلت : قلت لك مراراً أريد محادثتك .

بياتريس : فى أى شىء ؟

فيلت : عن ولدنا .

بياتريس : (كأنها تحجرت . وقد تغير صوتها) عن ولدنا ؟ . . عن روبير ؟ وما دخل روبير فى . . . ؟

فيلت : أصغى إلى جيداً ، وستعرفين فورا .

بياتريس : (بعدبرهة) فليكن ماتريد . لقد مرت بلسانك الكلمة الوحيدة التى تستطيع التأثير بها على نفسى ، فإن كان

هذا شركا نصبته لى ، فهو شرك ناجح . . . ولكنى
أيضاً أحذرك إن أمره مكشوف مقدما . وها أنذا واقفة
فى مكانى لا احيد عنه ، والجرس تحت يدى . فإن
رأيت منك أية حركة مريبـــة استدعيت الخدم .
فإن أحببت ألا تكون موضع الهزء والسخرية فلا
تحاول ذلك . لقد أنذرتك فتكلم الآن . ما الذى عندك
من الأحاديث المهمة عن روبير ؟

(هنيهة مطرق ببصره إلى الأرض وهنيهة
هيئة رجل محطم يستجمع ما تفرق من أمره)

أرجو ! (باضطراب متزايد) ألا يكون هناك ما يتهدده .

فيلت : (بصوت خافت) هناك ما يهدد مستقبله . إذا . . . .

بياتريس : (بلهفة كأن ريبتها قد زالت وسرى عنها) آه . . . هذه
حيلتك ! لقد ملأت قلبي رعبا ! . . . أنت تعلم نيتى ...
فقد سبقت إلى تخمينها فحمداً لله ! . . . وإذا كان ذلك
كذلك ، فدعنى أنا أبدأ بالكلام . . . ولن يطول بنـا
القول ! فلا تدخل مستقبل روبير فى هذه المسألة . .
ولا تخلق له أخطاراً لا وجود لها . فأنا قد فكرت
فيه قبلك ، وقبلك بزمن طويل . . . ولو كنت أخشى
عليه أقل خطر لافتديته بسعادتى بل بحياتى دون
تردد ! . . . لأنك الذى كنت أكتب إليه هذا المساء...

وقدأردت أن تاتى إلى ولدنا بهذه الرسالة ليقرأها حينما يبلغ سن الرجال ، ويشعر فى نفسه بحاجة ملحة إلى الحكم على أمه . . . لأنى أعلم أنك رجل شريف صريح ، ياپيير ، وأنك ستنفذ ما أطلبه منك . . .

فيلت : (الذى كان فى أثناء كلامها يرفع نظره إليها شيئا فشيئا كالمستفسر) إنى لا أفهم ما تقولين .

بياتريس : أنت فاهم جيداً وهذه الصفحات ياپيير ، تلخص فى كلمات بسيطة تاريخ قراننا المنكود كتبتها على أنها وصية لأنى أعتبر أن خير شطر من شبابى قد مات وهو الشطر الذى تمنيت أن أهديه إليك ، بل أهديته إليك فعلا مبتهجة مستبشرة . . . ومن كل قلبى ، فرفضته أنت ياپيير . . . ولن يستطيع ولدنا روبير إلا أن يقدر ماجاء فيه حق قدره ، لأن للحقيقة قوة لا تقاوم ، وسيقدر أننى إذا لم أكن الزوجة التى تليق بك ، فإن ذلك لم يكن خطأى أنا . وتستطيع أن تضيف إليه ما لا تستطيع أم أن تقصه على ولدها ، وإن استطاع رجل أن يحكيه لرجل ، وهو أن أخرى أخذت مكانى فى الوقت الذى هجرت فيه هذا المكان . . وأن هناك أنواعاً من العبودية لا يمكن للمرء مهما

فعل ، أن يفرضها على كائن يعتز بكرامته ... وإنى سعيت إلى أن أولد مرة أخرى من جديد ، وأن أشيد لى حياة أخرى غير الحياة التى فشلت فيها ، وأنك أنت الذى جعلت لى الحق ، كل الحق ، فى ذلك مهما كان هذا الحق أثما ... (صمت) ألا توافق على ذلك ؟

فيلت : (بصوت خافت ووجه مكفهر) لا شىء . هأنذا أنصت ..

بياتريس : لقد قلت لك كل ما أريد أن أقول .

فيلت : لا أظن ... فإنك ، على العكس من ذلك ، تضطريننى إلى شتى الظنون فأرجو أن تصرحى لى أكثر من ذلك .

بياتريس : ستقرأ فى هذه الرساله كل ما تريد .

فيلت : لا ، أبداً بل أفصحى القول ولم لا ؟ ... فلا شىء أسوأ من الغموض وأنت تريننى هادئاً ... هادئاً جداً ! ... لم أكن فى حياتى على هذه الدرجة من الهدوء ... إن المرء لا يسعه أن يتخيل ما فى استطاعته تحمله وهو على حافة الهاوية . فلنفصح . أنت تتكلمين عن هجران مكانك ، وفى عبارات بينة واضحة . أتعنين الطلاق ؟

بياتريس : نعم بدون ضجيج أو ضوضاء ، وبرضاك واختيارك .

فيلت : رضائى السريع الناجز . أليس كذلك ؟

بياتريس : نعم .

فيلت : (بنغمة الإيجاب) لتتزوجي بوكور .

بياتريس : بيير ، إنى أتركك وأنت على وشك الوصول إلى القمة ، ولا أتكلم عن المستقبل فإن حاضرك أصدق بشير . ها أنت ذا غارق فى المجد ، وكل الناس يخشون بأسك ويحتاجون معونتك . وهذا هو النصر النهائى ، وأنت إلى جانب ذلك غنى ، لأن عمتك تعطيك المال الذى تحتاج إليه للظهور ولا شيء ينقصك حتى العشيقة التي أرجح أنك تحبها على طريقتك . . . ولكنها ترضى بهذه الطريقة . وهذا هو المهم ، وقصارى القول أنك فى أتم الازدهار من الناحية المادية ومن الناحية العاطفية . فهل أنت من الصغر إلى حد أن تنقم على ذلك النصيب الضئيل من السعادة التى أسعى إليه ؟

فيلت : إنك لم تجيبينى على سؤالى . أتريدين أن تتزوجي بوكور ؟

بياتريس : لقد قلت لك ما أردت أن أقول .

فيلت : أتحبينه ؟

بياتريس : اختصر هذا الاستجواب الأليم .

فيلت : من أى وقت هو خليلك ؟

بياتريس : لماذا تهينني إلى هذا الحد يابيير ؟

فيلت : أليس هو خليلك ؟

(تبدى اليأس بحركة كتفيها)

لا . . . لا . . . ليس هذا جواباً لسؤالى .

بياتريس : ألست تعرفنى ؟

فيلت : كثيراً ما يخيل للإنسان أنه يعرف وهو لا يعرف حتى نفسه وإنما هى الحياة التى تكشف لنا .... أهو خليلك أم لا ؟

بياتريس : لا .

فيلت : أقسمى على ذلك .

بياتريس : (ببساطة) أقسم لك برأس روبير .

فيلت : آه ... إنى أفضل ذلك ، وأن أصبح لا يهمنى كثيراً كما ستعلمين . ولكنا هكذا خلقنا نتشبث أمام النكبة بأتفه الأمور وأبسطها بمجرد الأفكار ..

بياتريس : النكبة !

فيلت : انتظرى : .. النتيجة أنك تحبينه وأنى لم أصبح شيئاً مذكوراً بالنسبة لك . ستذهبين وينتهى الأمر ... هذه هى الحقيقة . فقد كنت على وشك الانهيار . على وشك الجنون ... بل لقد فقدت كل شيء منذ دقائق ... أعنى حينما اعتبرتنى متواضعاً وياله من خطأ فقد كنت أسوأ من ذلك حالا .. . كنت فى غيبوبة المهزومين .

بياتريس : المهزومين ؟

فيلت : والآن أرانى قد صحوت الصحوة الكبرى ، صحوة الاستسلام ... لم يعد لى شىء ، لم يعد لى أحد يمد

إلى يده . يالمفاجأة . . . وفى هذه الحال يجد المرء في نفسه قوة غريبة ، قوة باردة . . . . . فيستسلم لمقدوره كاملا . . . إذ لم يعد أمامه شيء أو شخص يأسى من أجله . إنه أصبح وحيداً .

بياتريس : ولكن . ولكن ماذا تريد أن تقول ؟

فيلت : بياتريس إنني قد سقطت من أوج عـــزى وشرفى ! وأصبحت رجلا محطماً مجرماً طريدا .

بياتريس : (وكأنها قد تسمرت فى مكانها ودون تعبير) مجرماً ؟

فيلت : وبعد بضع ساعات سأقدم نفسى للسلطة العسكرية ، ففى باكورة الصباح سأذهب إلى سان كلود سيراً على الأقدام ، وأثب فى أول قطار يقوم إلى باريس ، ولهذا طلبت إليك إيوائى حتى الصباح .

بياتريس : بيير !

فيلت : إذن لقد انتهى كل شيء ... وأصبح كل شيء رماداً .... ومن العبث أن نحاول الكلام فيما ذهب ، ولكن لا شك أن ذلك سيسبب للطفل آلاماً جساما . فلابد من حماية هذا الغلام المسكين ، لا بد من حمايته ضد الأنذال والجبناء ، أتفهمينى ؟ حمايته بكل عنف وعناد !

بياتريس : بيبرا إنك تجمد أوصالى بهذا الكلام كيف تريد منى أن أفهم منه حرفاً واحدا ؟

فيلت : صبراً ! هأنذا قد وصلت... ولكن لابد أن نبدأ الأمور من بداياتها وإلا فلن تستطيعى فهم أى شيء . ولكن لا تقلق فإنه اعتراف لن يستغرق أكثر من دقيقتين اعتراف لابد منه، وإلا رميت بالجنون وأنا لست مجنوناً

بياتريس : استحلفك بكل شيء !

فيلت : أصغى إلى ! انت تظنين انى غنى يابياتريس ، والحقيقة انى لا املك فرنكا واحدا اما هذه الرفاهية فمن مال الدائنين فإن أردت أن تعرفى لم كلفت نفسى كل هذا ، فاعلمى انى لم أفعله إلا من أجلك ، انتظرى لا تقاطعينى! ولا تلق على اسئلة ، حتى أتم كلامى . فى هذه الثورة من الاندفاع يابياتريس ، فعلت كل ذلك من أجلك لأنى كنت أحبك بكل ما فى قلبى من قوة ، هذه هى الحقيقة التى لم تكونى تعرفينها قبل اليوم . أما ما ترينه من قسوتى وشدتى وسلوكى مسلك البطش والقهر، اما دأبى واجتهادى فى سبيل الوصول ... فمظهر كاذب لا أصل له . والحقيقة أنى كنت أعتقد أن القوة هى الوسيلة الوحيدة التى أستطيع بها اجتذابك إلى، وامتلاك قلبك،

والحظوة بحبك كاملا غـــير منقوص. ولكنك
لم تفهميني ... فمن الرجال من يلجأ إلى الإغراء ومنهم
من يلجأ إلى القوة . وأنا لا أعرف سبيل الإغراء،
لأنى جندى نشأت على الأمر والنهى. ولم أعرف كيف
أنال من الأشياء ما أريد إلا عن طريق الاكراه .

بياتريس : (مرتعدة متوترة الأعصاب) وإذن ؟

فيلت : واذن فقد استقبلت شدتى من أول وهلة بالنفور ،
وشمخت بأنفك أنفة وكبرياء ! فكيف لى أن استحوذ
على قلبك وكلمات الاغراء تفر من شفتى ؟ وهناك
علمت أن الصراع الذى لا بد أن يقع بيننا ، سيكون
صراعاً هائلا ، وأن لا مناص لى من إحدى خطتين ،
إما أن أتنازل عن هذا الحب ، وهو محال ، لانك كنت
فى نظرى كل شىء فى هذا العالم . وأما أن استعمل كل
سلاح لكى استحوذ عليك كما يستحوذ القائد على الأسير...
أما الأمر الوسط ، فذلك مالم أفكر فيه . . . وإذن لم يبق
أمامى إلا أن أغريك بالطموح والبذخ ... ولا شيء أيسر
من الحصول على الرتب والمراكز على من أوتى الذكاء
وقوة الشكيمة . . . ولكن البذخ الذى يهفو له قلب
المرأة ، لابد له من المال . ومن أين لى بالمال ؟ من
مرتبى الضئيل ؟ . . .

بياتريس : ثم ماذا ؟

فيلت : بالرغم من ذلك لم أدخر جهداً فى أن أوفر لك كل أنواع البذخ. فاقترضت فى مبدأ الأمر وكان الدين ضئيلا ... ولكنك مازلت معرضة عنى . . . واعلمى أننى الآن لا أمارى ولا أخادع . . . وانظرى إلى هذا الكائن المحطم الذى أمامك . . .فإن هاتين العينين الجامدتين . كثيراً ما بكيتا ليالى بأسرها ، حتى لقد خيل إلى أنى سأموت حزناً وكمداً ، وحينئذ أردت أن أثير فيك عاطفة الغيرة ، فحطمت كل شىء . .وحينئذ علمت أنى حطمت حياتى من أساسها . . . وناخ القدر بكلكله على صدرى حتى العنق ثم لم تزل المقادير بعد ذلك تصيبنى بأسهمها سهماً سهماً ، حتى أفرغت هذه الليلة فى قلبى آخر مابقى فى كنانتها ، فقد تبين لى أن دائنى من الأجانب ، الأجانب المأجورين الدهاة الذين لا يمكنون أحداً ، لشدة فجورهم وكيدهم من الالمام بدخائل نفوسهم . . .

(يلهث من التعب ويصبح صوته صامتاً صافراً ونظراته زائغة) .

ولما تحققوا من أن الشرك الذى نصبوه لى أصبح محكم الاغلاق ، بعثوا الى ، فى هذه الليلة ، بزعيمهم

جلوجو كاشفاً برقع الرياء عن وجهه وأنذرنى بدفع مايقرب من ماتى ألف فرنك فى مدة ثلاثة أيام . ولما رأى أن السهم الذى سدده إلى قد أصاب منى مقتلا ، وانى اتخبط بين يديه لشدة وقع المصاب على نفسى تخبط المصروع ، شرع سيف تهديده على عنقى ، وخيرنى بين أحد الأمرين اما إعلان افلاسى ، وإما أن أعطيه خطط حصن أوربيه التى تحت يدى ، وهو أهم موقع فى دفاعنا الوطنى .

بياتريس : (التى كان صدرها أثناء سماع كلام فيلت يهبط ويرتفع من شدة الاضطراب ووجهها يتقلص شيئاً فشيئا لشدة الهول والفزع) وهل سلمته ماطلب منك أيها التعس ؟ . . .

فيلت : ماتقولين ؟ . . . ماذا تقولين ؟ . . . هل تظنين أنت أيضاً أن فيلت يقدم على . . . ؟ . . . اعيدى . . . .

بياتريس : (كمجنونة) لا . . . . لا . . . . لا أظن ذلك ! ولكن ماذا صنعت حينئذ يا بيير ؟

فيلت : (بنوع من الحشرجة الخالية من الصوت مع إشارة قصيرة مؤسية) لقد قتلته !

بياتريس : (بصرخة ابتهاج مكتومة) أحسنت صنعاً ! أحسنت صنعا ! أحسنت صنعاً

فيلت : (بينما تكرر هى هـــذه الكلمات باندفاع عصبى ، ينطلق هو قائلا بنوع من الهزيان الوحشى) كيف ؟ لا أعلم ، لم أعد ادرى شيئا . . . لقد خيل إلى أنه يمزق وجهى بسياط من نار .. فلم أشعر إلا وعنقه فى قبضة يدى ... وقد اراد هو الآخر . . . لم أعد أدرى . . . رحت أضغط وأضغط ، وأضغط . . . ولم يلبث الحيوان الضارى أن سقط تحت قدمى جثة هامدة .

(سكوت طويل . تخطو خطوتين ، ثلاث خطوات وهى تترنح إلى أن تصل إلى مقعد . فتتساقط عليه ، وهى فى حالة نوبة عصبية مكتومة يمازجها البكاء ، نوبة صامتة مؤسية يبقى هو جامداً ثم ينهض بتؤدة) .

والآن وقد انتهى الأمر فليس أمامنا إلا أن نهتم بمستقبل الصغير فيجب بوجه خاص ، منذ الآن حتى السن التى يستطيع فيها فهم كل شىء . . .

بياتريس : (إشارة من يدها معناها أنها ليست حتى الآن فى حالة تسمح لها بسماع كلامه) أرجوك . . .

(تنهض بكل صعوبة وتتكىء على المنضدة ويلوح
على وجهها ذلك المجهود العظيم الذى تبذله لكى
تتمالك قواها) .

وأين كان ذلك ؟

فيلت : فى غرفتى . . . .

بياتريس : (تلتفت مفزوعة جهة غرفة فيلت القريبة من الحائط التى
هى بجانبه)

هنا ؟ (يجيب فيلت بالإيجاب بحركة من رأسه) أهو هنا ؟

فيلت : (بصوت أجش) انه هنا ... ولو كنت فتحت الباب ...
(لايكمل الجملة . ترتجف هى ، وتشير إليه
بيدها اشارة قاطعة تطلب منه السكوت .
تغطى عينيها بيدها لتستجمع أفكارها) .

بياتريس : (بدون أن تكشف وجهها) بيير ! وهذا المبلغ ! انتظر ،
ما أصعب هذه الأشياء !

(بعد قليل)

وهذا المبلغ . . . . أتقول أنه مائتا ألف فرنك ؟

فيلت : مائة وسبعون ألفاً ، على وجه التحديد

بياتريس : مهرى . . . سندات تستطيع بيعها فوراً (بألم) أما
الباقى فنى وسعنا أن نجده . . . ألم تفكر فى ذلك ؟

فليت : ليست هذه هي المسألة ! ليست هذه هي المسألة ! ...
ليست المسألة مسألة نقود . . . فإن مسائل النقود يمكن
دائماً تصفيتها ، ولو برصاصـــة هنا (يشير إلى قلبه)
ولكن الاهانة هي التي أخرجتني عن طوري وأعمت
بصري .. والنذالة الشنيعة التي تنطوي عليها المؤامرة
تصوري حالتي وقد وجدتني فجأة وجهاً لوجه ، لا أمام
العدو . . . العدو السـافر ، بل أمام وجه كالح قذر
كوجه الحية ، الواقع أن المرء في هذه اللحظة لا يستطيع
أن يتروى بل ينهال ضرباً بنعل حذائه حتى يسحق ..
هذا أمر غريزي لا يستطيع أحد مقاومته ، ولو تكررت
أمامي هذه المأساة مرة أخرى لما سلكت غير هذا
السلوك . . . أترين الآن أن هناك أشياء لا يستطيع
فهمها وتفسيرها إلا جندي ؟ ... أنت لا تستطيعين ...
أنت لا تستطيعين . . .

بياتريس : (بتغيظ) بل ! أفهم جيداً لأني ما أنا إلا ابنة جندي .

فيلت : هذا حق .

بياتريس : ابنة جيرار الصغيرة ...

(بنغمة أخرى)

اسمع يابيير ! هذا المبلغ ... إني أريد الحديث عنه . . .

فيلت : آه ! هذا أمر لا أهمية له .

بياتريس : بل له كل الأهمية . ألم تنفقه من أجلى ! ... لقد اعترفت أنت بذلك (يريد أن يتكلم ، فلا تدع له الفرصة. حركة من فيلت معناها رعينا من ذلك)
أستحلفك أن ترد على سؤالى . . . هذا أمر ضرورى وأنا متمسكة به . . . فمن حقى أن أعرف . . . ورغبتى أن أعرف . . .

فيلت : (حركة ملل) سلينى أجبك ...

بياتريس : هذا المبلغ ، هل هو لهذا التعس ؟

فيلت : كان . . . لأن مكيدتهم كانت أحكم تدبيراً من ذلك ، فهناك تحويل جار كان سيقدم للدفع يوم السبت . . . وسيقدم يوم السبت بالفعل .

بياتريس : (بلهفة تتابع فكرة تتكون فى ذهنها بصورة تشبه أن تكون غير شعورية) سيقدم . . . حسن ، ولكن إذا أمكننا دفعه ... ماذا يسمون هذا ؟ ... أعنى فى الميعاد ...

(كانت تلاحظ منذ مدة أن فيلت يضغط بيده اليسرى على يده اليمنى بحركة آلية)

ماذا بيدك ؟ هل جرحت ؟

فيلت : لا . . . لا شىء .

بياتريس : بل أنت مجروح ، أرنى

فيلت : صدقينى .

بياتريس : (بإصرار) أرنى !
فيلت : كدم بسيط ، .. لا شىء . . .

(يمد إليها يده وفى أثناء تحديقها فيها تتراءى لها صورة مفاجئة ، فتتراجع بحركة خفيفة غير شعورية تقريباً . لا تكاد تلمح ولكنها لا تخفى على فيلت)

نعم وأسألك العفو .

بياتريس : أوه ! . . . (تمسك بيده بين يديها فى حركة حنان فى اللحظة التى أخذ يسحبها فيها وتحملها إلى صدرها وهى حركة حنان غير شعورية ، سريعة عفو الخاطر ، ومع ذلك كان لها من الدلالة ما حرك فى نفس فيلت انفعالا مفاجئاً) إن يدك ملتهبة ! . . . أتشعر بألم ؟
فيلت : كلا ، كما قلت لك . . .
بياتريس : لا ..! بل أنت تتألم ! لا تقل لى ، لا ، فإنى أرى ذلك . أرى ذلك على وجهك المسكين ! ...

(تنظر إليه بإشفاق أليم)

بيير ! ماذا تريد أن تقول لهم ... هناك ؟
فيلت : هناك ؟
بياتريس : فى باريس .
فيلت : ماذا أقول لهم ؟

بياتريس : نعم .

فيلت : (بعد فترة وبتصميم هادىء) الحقيقة !

بياتريس : (بتألم) الحقيقة ! وماذا تظنهم يفعلون بهذه الحقيقة ؟

فيلت : ما هى أهل له .

بياتريس : ولكنك تعلم أن لك أعداء ألداء . ولا بد أن يحرفوا الحقيقة تبعاً لأهوائهم .

فيلت : (بحزن) إنها لا تحتاج إلى تحريف . . . فأنا قا . . .

بياتريس : (تقاطع كلامه بشدة) .
كلا ! إنى أمنعك من أن تقول ذلك .

فيلت : ولكنه هو الواقع .

بياتريس : (كالمحمومة) إنى أمنعك من ذلك منعاً باتاً ! فقد كنت فى حالة دفاع شرعى ! ... ولكن الذين يهمهم تحطيمك لن يقبلوا منك هذا العذر وكأنى أراهم أمامى وقد تحركت قوى الشر فى نفوسهم وراحوا يصبون عليك أحقادهم ليجهزوا عليك والفرصة مساعدة لهم .

فيلت : ولكنى سأكون هناك للدفاع عن نفسى .

بياتريس : وماذى يجدى دفاعك وأنت واحد ، وهم كثيرون ؟

فيلت : ذلك ما تعودته دائماً .

بياتريس : يستطيع المرء أن يدافع عن نفسه ضد الحقيقة الواقعة .. ولكنه يعجز عن هذا الدفاع ضد المظاهر الخداعة

ومقالات الصحف وسم الحاقدين . وماذا يكون جوابك غداً إذا سألوك عن علاقتك بهذا الوغد اللئيم ؟

فيلت : (بصوت يدل على فقـــدان الثقة بعض الشيء) أقول الحقيقة كما هي ؟

بياتريس : لن يصدقوك . .

فيلت : (بتأن وهو يبتسم ابتسامة ألية) أوه ! إنى أعلم حق العلم أن مركزى فى غاية الحرج ... وأن عنقى بين أيديهم .

بياتريس : لن يكتفوا بذلك يا بيير .. إنهم لن يدعوا مسألة النقود هذه تفلت من أيديهم ... فكيف يتسنى لك أن تقنعهم بتفسيرها الحقيق ؟ ليست تهمـــة القتل هى التى سيوجهونها إليك ، ولن يشفى غل صدورهم أن يحكموا عليك بالإعدام .. ولكنهم سيحاولون تدنيس شرفك بل شرفنا جميعا ، وسيجللون اسم فيلت بالعار إلى حد أن يأنف ولدنا من حمله .

فيلت : (رافعاً رأسه وبعنف) لن يجرؤوا على ذلك . . . فإنى ما زلت واقفاً على قدمى وسأعرف كيف أصيح فى وجوههم ، كيف أصيح فى وجوههم . . .

(لا يكمل جملته وتتسع حدقتا عينيه وتغطيها غشاوة وينهار جسمه الكبير كتلة واحدة فيتركه يسقط على المقعد . بحشرجة تخلو من الصوت)

نعم أصيح فى وجوههم .... لكن ماذا ؟

بياتريس : (تفرك يديها بشدة) الحقيقة ، ولكن ماذا يبقى من الحقيقة فى هذه الحال ؟ ... ماذا تنفع الحقيقة فى ذلك الوقت .

(تفكر وتفكر وكل أعصابها متوترة .
وتظرتها شاخصة ملتهبة قاتمة)

لا . . . لا . . . هذا غـــير ممكن . . . إنى لا أومن بسلطان القدر الأعمى لن أسمح بشىء من ذلك . . . إنى أعلن عليه الثورة . . . لن تستسلم للتحطيم ، يابيير .

فيلت : دعينا ، هذه طريقة معروفة مطروقة . . . وقد قدمت لى ، أنت نفسك الدليل القاطع عليها . . . بالطبع أنا لا أريد أن أوجه إليك أى لوم . . . ولكنى قد انتهيت . . . انتهيت إلى الأبد (تنظر إليه) هيـــه ! يالبؤس رجل منخذل وحيد !

بياتريس : (غريبة الهيئة) بل يا لعظمة رجل وحيد . . . وحيد ؟ كلا ! هيا ، هيا ! هيا انهض يابيير ! فإن لى نصيبى من مسئولية هذا الانهيار ولكننا سنخرج سالمين من تحت هذه الأنقاض يابيير .

فيلت : (محدقاً بها بشدة) لا . . . لا أريد هذا يابياتريس .

بياتريس : إنى أريد ذلك .

فيلت : لا ... إلاهذا ... إلاالإشفاق ! لاأريد إشفاقك عليّ ، أتفهمين ما أقول ؟ إن سقوطى يقف عند هذا الحد . فأنا رجل قامر وخسر فوداعاً ولتـذهب البقايا إلى الحفرة .. أما أنت فسيرى نحو سعادتك ولـكن إياك والإشفاق عليّ !

بياتريس : لقد فات الأوان يابيير ، فات أوان التعلل بالكلام .. أزفت الساعة الرهيبة وسأنجيك . . . رأيت طريق الخروج فى ومضة إشراق ، فدعنى أوجهك إليه .

فيلت : بياتريس ! إنى آمرك ...

بياتريس : كنى وأجل أوامرك إلى الغـــد ، أما الليلة فأنا أتولى شأنك وأحميك فاستمع لى يابيير .

فيلت : (فجأة بصوت خافت) صه .

بياتريس : ماذا ؟

فيلت : (بصوت خافت) كأن أحداً يمشى فى الدهليز .

بياتريس : كلا .

فيلت : خطوات خافتة بحذر . أنا متأكد من سماعها .

(تلتفت هى عفواً إلى باب الدهليز)

لقدتوقف عن السير أوه !... الباب !... أكرة الباب !

بياتريس : ولـكن ماذا ؟

فيلت : ألا تشعرين أن أحداً يحاول فتح الباب ؟ أنظرى .

(ينهار جزع بياتريس نحو الخلف فى حركة قاصمة ، إذ تتذكر بفجأة موعدها مع بوكور فتنزعج ثم تتماسك)

بياتريس : صه !

فيلت : إنه يريد . . .

بياتريس : (واضعة يدها على فمه) قلت لك أن تصمت .

(تمشى على أطراف أصابعها وتقف أمام الباب كأنها تريد أن تستره بجسمها ، ووجهها نحو فيلت الذى لم يتحرك من مكانه تلهث ، سكوت)

فيلت : (بصوت منخفض جداً) ماذا ؟

(تلزمه بياتريس الصمت بإشارة قاطعة ثم يسمع على الباب طرق خفيف)

بياتريس : (بصوت عال) نعم يا آنيت أبقى معى . . . فإنى مازلت فى شدة الألم .

(تضع أصبعها على فمها وأذنها على الباب تتسمع جيـــدا)

إنه الطارق يبتعد ، لم أعد أسمع شيئا .

(تتنفس الصعداء)

لا شىء الآن .

(تخطو بضع خطوات فى الغرفة ، ويدها
على قلبها كما لو كانت تمنعه من الانفجار
ثم تمشى إلى عامود السرير فتستند عليه .
يتبعها فيلت بنظراته التى تزداد شدة)

فيلت : بياتريس من الذى كان بالباب حقا ؟
بياتريس : (صوتها لا يزال مضطرباً) كيف تريد منى أن أعرف
من هو ؟
فيلت : إنك تعرفين .
بياتريس : لا أعرف عنه أكثر مما تعرف أنت .
فيلت : إنك تعرفين ، ولا بد أن تخبرينى .
بياتريس : بيير . . .
فيلت : يجب أن تخبرينى ! أفهمت ؟
بياتريس : أجننت ؟ قلت لك أنى لا أعرف .
فيلت : وأنا أقول لك أنك تكذبين ، فلم هذا الكذب ؟
بياتريس : أكذب ؟ أنا ؟
فيلت : لماذا تكذبين ؟ ها هى ذى ملامحك جميعها ناطقة
بذلك ؟ انظرى إلى صورتك فى عينى !
بياتريس : بيير !! إن الوقت الذى تختاره لتعذيبى غير مناسب .
فإن أعصابى مضطربة جدا .
فيلت : أما أنت فقد أحسنت اختياره لتتمكنى من تعذ . . .

ولكن لا داعى للمجادلة ، أتحبين أن أتولى الإجابة عنك ؟ لقد كان هو ألم يكن بوكور ؟

بياتريس : ما دمت تعرف ...

فيلت : لم أعلم إلا منك فإنك لم تذكرى اسم آنيت بدلا من اسمى إلا محافظة على إحساسه ، وخوفاً عليه أن يتألم إذا علم بوجود زوجك معك فى مخدعك .

بياتريس : أنا لم افكر فى كل هذا ، ولكنى كنت مضطربة فجرى لسانى بأول اسم خطر لى .

فيلت : إنه وحى الفطرة بطبيعة الحال ! ولكن لماذا كذبت على ؟

بياتريس : نعم لم يعد هناك مبرر للانكار .. إنه هو بعينه كنت أريد أن أتكلم معه . واتفقنا على أن يأتى إلى فى هذا الموعد .

فيلت : فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

بياتريس : لم يكن فى وسعى أن أسمح له بالحضور على مرأى من الناس جميعا .

فيلت : طبعاً خصوصاً لمجرد محادثة ، ولكن ما هو موضوع هذه المحادثة .

بياتريس : ما أخبرتك به الآن ، يابيير .

فيلت : نعم ، مسألة الخطبة ! ولكن أمس وقبل أمس ، فيم كنتما تتحادثان ؟

بياتريس : أقسم لك ...

فيلت : أتجرؤين ولكن لا قيمة للأقسام عندك ، وبم تريدين

أن تقسمى هذه المرة ؟

بياتريس : آه ... مسكين أنت يابيير !

فيلت : نعم مسكين بيير ! هل فهمت ماذا أريد ؟ أنعمى نظرك فى وجهى جيداً ! ؟ لتفهمى أننى الآن أودعك الوداع الأخير .

بياتريس : (مرتاعة، ومتشبثة به) بيير ! ما معنى هذا ؟ .. هل تريد أن . . . أن . .

فيلت : (دافعاً لها) كفى ، كفى تمثيلا ! ... الوداع !

بياتريس : (بدون أن تتركه) أيها المجنون ! ولكن ألا ترى ...

فيلت : (قابضاً على معصمها ومحدقا فى وجهها) الآن أرى أنى قد ربحت كل شىء وخسرت كل شىء من أجل امرأة فاجرة . . .

(دافعاً لها على مقعد)

والآن يمكننى أن أواجه الموت . . .

بياتريس : بيير .

فيلت : (بصوت يشبه الصفير) اسمعى . . . قبل هذه اللحظة كنت على وشك أن أستعيد أملى وقوتى . . . فقد كان فى استطاعتى أن أفتت الصخر من أجلك لأنى لا أرى فى كل هذه الحياة إلا أنت ... إشارة ، فأمل ، فيدى فوق صدرك ، كل ذلك أشعرنى بأنى لا زلت أتشبث

بك أى بالحياة وكل مافيها من آمال وآلام وجهاد ! ...
وأحسست أن فى مقدورى مجابهة أولئك الكلاب
الجياع . وأن أقصم ظهورهم ، وأنا أقول « ها هى ذى
بياتريس تنظر إلى ! ... لم يستطع أحد حتى الآن أن
يسلبنى إياها . . . لقد وصلت قبل فوات الأوان . . .
فلا بد من النصر لأن بياتريس ترقبنى ! »

بياتريس : (مذهولة . ومرتجفة) حبيبى بيير ! . . .

فيلت : لقد كان فى استطاعتى أن أكون ماردا جبارا ، أن
اكون رجلا فوق كل الرجال ولكنك أصبحت
لا تساوين أى مجهود يبذل من أجلك ... لقد كذبت
علىّ وخدعتنى ، وارتميت فى أحضان غيرى فالآن ،
كل شىء يهون فلأكن قاتلا ! ... لقد فقدت كل شىء ..
فليكن ما يكون ! . . فإلى اللومان ، إلى المنفى .
أو الوقوف بجوار الحائط لأرمى بالرصاص ، كل شىء
يهون ! قولى لى ! . . . لا شك أنك كنت مبتهجة
مغتبطة ، وأنت تلعبين بى ؟ . .

بياتريس : أيها الأبله !

فيلت : أليس كذلك ؟

بياتريس : إننى أعفو عنك أيها الأبله ، لأنك تتألم . . .

فيلت : نعم أتألم ...

بياتريس : إنى أعفو عنك وأسامحك ، لأنى أحبك ! أيها المعتوه !
أنت إذن لا قلب لك ، أنت إذن لا عهد لك ! ...
ألا تحس أنى أحبك ... أنت وحدك دون سواك ؟
فلأرم بالرصاص معك ، وأسجن معك ، فى أى مصير
سأتبعك ! .. سواك ؟ أهناك أحد سواك ؟ وفى
أتظن أنه كان فى وسعه أن يمس فماً غير فمك ؟ ها أنذى
قد عرفت ! الآن قد عرفت !

فيلت : لا تمادى فى الكذب ، وإلا حطمتك !

بياتريس : حطم !

(يتقابل وجهاهما ، ثم يتدانيان بشعور لطيف ،
فتلتق شفاههما مدة طويلة وتتعانقان عناقا شديدا ،
ثم تسقط بياتريس بين ذراعى فيلت كحيوان
مجروح جرحاً قاتلا)

فيلت : (خائفا) بياتريس ! .. ، بياتريس ! .. زوجتى !

بياتريس : لا تخش شيئاً .. لا تخش شيئا ..

(تتخلص منه بصعوبة ، تترنح فتسقط بين ذراعيه
مرة أخرى ، ورأسها على صدره)

فيلت : حبيبتى ! زوجتى !

بياتريس : لا تتكلم يابيير .. فأنا سعيدة .

(سكوت)

حبيبي بيير ! أريد أن تعيش .

فيلت : إنك تفقدينى صوابى . .

بياتريس : حبيبي أنت ضعيف ؛ وفى حاجة إلى . أريد أن أدافع عنك

فيلت : أريد أن أعانقك وأقبلك .

بياتريس : (تعود إليها قوتها ،فتتخلص منه) ليس الآن .

(يريد أن يعانقها ثانية)

أصر على ذلك ! . . .

(لا يتحرك ويبقى مطيعاً)

بيير ! أظنك لن تشك بعد الآن ؟

فيلت : كلا . . إنى أصدقك وقد عرفت جوهر حقيقتك .

بياتريس : إنك لم تكن تدرك ولا تدرك حتى الآن ما أنا جديرة بفعله من أجل حبك لقد كنا متنا كرين متدابرين . وسنعيش سعيدين ياحبيبي العظيم . . . لقد حطموا أجنحتك . . . ولكنى هنا معك !

فيلت : إذن فقد عادت إلى الحياة كلها ! . . .

بياتريس : إنى أعرف الوسيلة التى تنقـــذك ، وسأتولى قيادك ، فهل أنت مستعد لطاعتى ؟

فيلت : فى كل ما تطلبين .

بياتريس : دون نقاش ؟

فيلت : فى كل ما تطلبين .

بياتريس : ودون تردد ؟

فيلت : فى كل ماتطلبين .

بياتريس : حسبي هذا ! لا تنبث بكلمة ... واقرأ ما فى عيني ..

(تمر أمامه . فيلتقى بصراهما فى نظرة يملؤها الحب والغرام)

فيلت : (كالمجنون) بياتريس !

بياتريس : (بلهجة الآمر) صه !

(تذهب فتفتح باب الدهليز بكل احتراس ، وتفتش فى الظلام ، فتنظر يميناً ويسارا)

فيلت : بياتريس !

بياتريس : (تغلق الباب) أطفىء هذا المصباح ...

(تشير إلى المصباح الكبير)

فيلت : ماذا ؟ ماذا تريدين أن تعملى ؟

بياتريس : اتبعنى ! ..

فيلت : أنا لا أفهم شيئا .

بياتريس : لا تفهم . ما عليك إلا أن تطيع ، أطفىء هذا المصباح .

(يطفىء المصباح فتظلم الغرفة نصف إظلام ، وفى هذه الأثناء تتجه هى إلى المنضدة ، وتأخذ المصباح الصغير ، وترفعه)

والآن تعال ! . . . تعال ! . . .

(تتجه نحو الباب الموصل بين الغرفتين ، وقد رفعت المصباح فى يدها وتفتح الباب الأول وتدعو فيلت بنظرها ، وتمد له يدها ، فيعطيها يده)

(ســــتار)

الفصل الثالث

(ديكور الفصل الاول الساعة الثامنة صباحا)

المنظر الأول

(مرشان . إيفون مرشان مونسينيور جوسى . فيلت)
(بياتريس برتران دى موريه . تيريز . العمدة)
(الكولونيل فيلت مرتد الملابس الرسمية وبياتريس وتيريز مرتديتان ملابس الصباح . ويبدو على الجميع أنهم قد ارتدوا ملابسهم فى سرعة واضطراب . فونسينيور يلبس شبشباً من القماش البنفسجى اللون ؛ ومارشان يلبس قميص النوم تحت جاكتته ، وموريه يرتدى بيجاما ، وإيفون على الهيئة التى خرجت بها من الفراش دون أن تمشط شعرها . عمدة ميجو الذى يعتبر بين الصانع والبرجوازى رجل فى الخمسين من عمره نحيف ، أسمر اللون ، ويتكلم بلهجة الجورا التى تمط الكلمات مطا . اضطراب وانفعال وضوضاء)

العمدة : (مستمراً فى حديث كان بدأ فيه) وحينئذ ، لما قصت عليه الخادمة هجم قاضى التحقيق فى الحال على الجهاز ...

مارشان : القاضى نفسه ؟

العمدة : بنفسه . . . وعلى مرحلتين . . . وثلاث حركات . . .

وقال لى إذا كان ما بلغه مزاحا ، فسيبطش بكل من تحدثه نفسه بأن . . . بأن . . . (يبحث عن كلمة) .

موريه : يغرر . . .

العمدة : لا أكثر ولا أقل . . بأن يغرر بالقضاء . وعندئذ خاطبته بالتليفون قائلا ياحضرة القاضى ! أنا جلبير مانوف الساعاتى عمدةميجو ، وقد سبق لى أن تشرفت باستقبالك فىقريتى بمناسبة مشكلة أثناء قضية الشريدين الإيطاليين . وأنا الآن فىمكان الحادثة ومعىحارسى ، وبصفتى ضابطاً من ضباط البوليس القضائى ، ليس من عادتى المزاح مع القوانين ولا . . ولا . . . (يلتفت نحو موريه) التغرير بممثليها ، إذ يجب أنأقول لك ، ياسيدتى البارونة ، إنه فى العام الماضى ، حوالى نصف أغسطس ، وفى وقت موسم الحصاد . .

إيفون : (تقطع كلامه بنفاد صبر) قصارى القول ، هل سيأتى أم لا ؟

العمدة : القاضى ؟

مارشان : وكيل النيابة ؟

العمدة : إذا كان سيأتى ! أعتقد أنه سيأتى . .

إيفون : (متهالكة) أضحى كل شىء على ما يرام !

العمدة : أعتقد أنه سيأتى .

مارشان : متى يصل إلى هنا ؟

العمدة : لا بد أنهم قاموا منذ ربع ساعة ، ولا بد أنهم ركبوا السيارة الكبيرة من جاراج مونسيل ، وستراهم يصلون بعد عشرين دقيقة أو نصف ساعة .

إيفون : نصف ساعة !

تيريز : يا إلهى !

العمدة : لأنه اهتم كثيراً بالأمر ... ليتكم سمعتموه وهو يصيح فى البوق !

إيفون : أكان حزيناً متأثراً ؟

العمدة : لعلك تريدين أن تقولى ياسيدتى البارونة ، أنه كاد يطير من الفرح

تيريز : (مستهجنة) من الفرح !

العمدة : طبعاً كل إنسان يحب مهنته فأنا مثلاً عندما أرى ساعة تسير سيراً مضبوطاً أكون فى غاية السعادة . وهو عندما تصادفه قضية محبوكة الأطراف كهذه القضية ، فى أحد القصور ، وأى قصر ؟ قصر باريسيين . . .

إيفون : (فى يأس) آه نعم ... وستكون ما يسمونها بالقضية الشهيرة . . . وسيتردد اسمنا فى كل الصحف .

مارشان : مؤلم ! . . . مؤلم !

إيفون : والمنزل مملوء بمن لا نعرفهم من الفضوليين والمتطفلين

ومخبرى الجرائد الذين يخضعوننا لاستجوابات أشد وأقصى من استجوابات القضاء ! والكل يعرضنا إلى تحقيقات أشد وأقصى من تحقيقات القضاء ياله من موقف لا نحسد عليه ! ...

العمدة : لا ينبغي للإنسان أن ينكد على نفسه ، ياسيدتى البارونة.

ايفون : انك ياسيدى تتكلم عن ذلك بكل بساطة .. أما نحن فاننا ننفر من الفضائح ، وهذا طبيعى لأن لنا مركزنا فى المجتمع !

مارشان : لاتنفعلى هكذا ياعزيزتى !

ايفون : ولكن هذا جزاء من لا يحافظ على مكانته بالنسبة لغيره من الناس . وأنت يا أدلف ، أنت يا عزيزى تدعو إلى قصرنا كل من هب ودب ، فكان لابد من وقوع هذه الكارثة !

مارشان : عزيزتى ! ...

ايفون : لاتعارض ، لاتعارض فيما برهنت فيه الحوادث على صدق فراستى بصورة مفزعة ، الأولى أن تعترف معى بأنه لاينبغى للمرء أن يدعو فى بيته إلا من يصطفيهم من الأصدقاء .

العمدة : ألم يكن اذن هذا السيد ؟

ايفون : لاياسيدى لا ! أصدقاؤنا الأصفياء هم أمثال هؤلاء ال..

(حركة دورية)

أما هو فجرد معرفة . . . ممن عرفهم زوجى فى إحدى حفلات الصيد . . وكم من أمثال هؤلاء المعارف يوجد بباريس ؟

العمدة : (بسكون) آه ! . . . باريس ! . . .

ايفون : لايعرف المرء من أين هم ؟ ولا من هم ؟ ولا المصير الذى إليه يتجهون ؟ ولكن من المؤكد أنه سيلتقى بهم فى جميع الحفلات . وهذا . . .

(للمونسينور)

هذه هى صالونات اليوم ياصاحب الغبطة ! أناس يتسللون إليها ثم ينقطعون عن ارتيادها ، وإذا اراد المرء أن يذكر اسمهم لم يعرف بالضبط ماهو هذا الإسم . . ولكنهم يفرضون أنفسهم . أراد المرء أولم يرد ... نعم ، هذه هي الكلمة المناسبة . انهم يفرضون أنفسهم . وفى هذا الصدد ،كان السيد جلوجو ذامثابرة وسلطة لا يشق لهما غبارا .

مارشان : عزيزتى ! لعل هذا ليس هو الوقت الذى . . .

ايفون : نعم حقيقة ليس هذا هو الوقت المناسب ...

(بعد برهة)

ولكن مما يبرر قولى أنى لم أخف فى وقت من الأوقات ماكان يثيره فى نفسى من أحاسيس النفور . ألا تعترف بذلك ؟ : . .

مارشان : نعم أعترف .

ايفون : ولم يكن هذا شعورى وحدى . . بل شعور الجميع.. أليس كذلك يا كولونيل ؟

(فيلت مستنداً إلى المدفأة وذراعاه مشتبكتان على صدره ولا ينبس ببنت شفة)

وأنت يا بياتريس ؟

(سكوت من بياتريس التى يبدو عليها الشحوب الشديد)

مالى أراك ياعزيزتى فى هذه الحالة من الاضطراب ؟ حقيقة أن مانحن فيه يدعو إلى ذلك . . وأنت ياموريه ؟ .

موريه : آه . . أنا .

ايفون : فإنك بالأمس فقط قد أطلقت لسانك بسلسلة من التعريض والتلميح وإن كنت لا أنكر انها كانت فى غير موضعها ..

موريه : أما من جهتى أنا فالمسألة فى غاية البساطة لأنى مامن مرة وجدتنى فيها أمام جلوجو إلا ومر بذهنى هذا الخاطر الذى اعترف بأنه فى غير موضعه بالرغم من صدقه . . . وهو أن العاقبة ستكون سيئة . .

مارشان : أى عاقبة ؟

موريه : عاقبة جلوجو

ايفون : (لمونسينيور) وأنت يامولاى ماذا كان حكمك؟ أنى لفى أشد الأسى والهم لادخالى غبطتكم فى مثل هذه المشكلات

ولن أجد لنفسى عزاء لذلك .

مونسينيور : بل لك أن تتعزى ياسيدتى فكثيرا ما وجدتنى غارقا فى انفعالات أشد من تلك ولكن الذى يؤسف له هو أن هذا المسكين الذى كان ظاهره كما لاحظت فى الفترات القليلة التى رأيته فيها ، ينم، فى الواقع عن ... عن ما لا أدرى كيف أعبر عنه ...

موريه : عن شيء غير كاثوليكى !

مونسينيور : إذا أردت أو شيء ... على كل حال عن غموض .

إيفون : أليس كذلك يامولاى ؟

مونسينيور : نعم لا أدرى ماذا ؟ ... ولكن الذى يؤسف له أنه لم يتمكن من تلقى طقوس دينه قبل موته .. ولكن هل كان له دين ؟

موريه : فى أغلب الظن . ولكن أى دين ؟

ايفون : (للعمدة) وعلى كل حال ألا تكون قد تسرعت ياحضرة العمدة فى استنباطك حينما حكمت بأن هناك ظروفا غريبة ؟

مارشان : نعم ... نعم

إيفون : من المحتمل أن يكون ضيفنا قد قضى نحبه بتأثير علة من العلل الخفية لا أدرى أيها ...

مارشان : (وقد سره أن يتشبث بهذه الفكرة) نعم ، كاحتقان فى المخ مثلا أو انفجار أحد الشرايين .

العمدة : ولكن ياسيدتى البارونة انى أتبع أوامر النائب المحترم .

مارشان : إذن فهو المسيو بوكور الذى . . .

العمدة : أمرنى على الفور باستدعاء نيابة سان كلود تليفونيا لأن حضرته أجرى معاينات حاسمة ، نعم قاطعة،هذا إلى أنه لايزال هناك يواصل عمله مع حارس .

مارشان : يجرى التحقيق ؟

العمدة : لاأقل ولا أكثر،أنه يبحث وينقب ، ويستجوب الخدم من هنا ومن هناك . وأظن أن رجال القضاء سيجدون أن مهمتهم الشاقة قد ذللت (بنوع من التعالم) لأن السيد بوكور ضليع جدا فى هذا المضمار . . . آه ! ! . . . لابد أن أذهب إليه ، بعدأذنكم ، لأنى بصفتى ضابطاً قضائياً ...

مارشان : اذهب يامسيو مانوف اذهب .

العمدة : (مكررا التسليمات) مولاى ! حضرة الكولونيل هؤلاء السيدات وكل الجمعية . حضرة البارون ! سيدتى البارونة ! سنتقابل ثانية قريباً . ولكن الواجب ، كما يقولون ، قبل كل شيء .

ايفون : (متضجرة) نعم . . . نعم . . .

مارشان : (بتسامح) مؤكد .

(يأخذ طريق السلم)

المنظر الثانى

(نفس الأشخاص ما عدا العمدة)

موريه : (سراً لتيريز) مهما تكن النتيجة ، فقد حرمت من قدح الشوكولاته .

تيريز : ألم تتناول طعام الإفطار حتى الآن ؟

موريه : (بحزن) لم يتمكن أحد من تناول إفطاره .

إيفون : ها هو منزلنا ، وقد أصبح عرضة لتفتيش النيابة كأنه أحد تلك المنازل المشتبه فى أمرها آه ... يامولاى ! ...

(لفيلت وبياتريس)

آه . . . يا أصدقائى ! . . .

(ترتمى على مقعد فيذهب إليها مونسيليور ومارشان للتفريج عنها)

مونسيليور : لا تنزعجى لا تنزعجى . . . . ولنتعلم يا ابنتى كيف نقابل هذه المحن الصغيرة بثبات وشجاعة .

تيريز : (بصوت منخفض لموريه) أهى الشوكولاته التى تفضلها ؟

موريه : (بحزن) بالماء وسميكة بعض الشىء ، ولكن لنصرف عنها النظر فقد ضاعت علينا كما قلت لك .

(تبتعد تيريز ، دون أن تجيب ، وتخرج من اليمين دون أن يشعر بها أحد . وذلك أثناء المحاورات الآتية) .

مونسينيور : لكن كيف كشف الحادث ؟

إيفون : إنه جوستان يامولاى .

مونسينيور : جوستان ! . . .

إيفون : رئيس خدمنا العجوز .

مارشان : (شارحا) كانت عند جوستان تعليمات للعمل على إيقاظ جلوجو كل يوم فى الساعة السابعة بالضبط بمعرفة خادم يقدم له طعام الإفطار فى نفس الوقت . وفى الصباح طرأ على هذا الخادم مرض ، فلم يتمكن من القيام بواجبه ، وكان بقية الخدم مشغولين كل من ناحية ، فاضطر جوستان أن يذهب بنفسه لأداء هذه المهمة ، فدق الباب مرة ثم دقه ثانية بلاجدوى ، وبعد ذلك بفترة ، صعد مرة أخرى وكرر الطرق ، ولما لم يلق جوابا سارع إلى وأفضى إلى بمخاوفه .

إيفون : مسكين ياعزيزى أدولف ! . .

مارشان : عدنا سوية فلما شعرت بدورى بنفس المخاوف التى شعر بها جوستان قررت فتح الباب إذ لم يكن مغلقاً من الداخل .

مونسينيور : يا لها من صدمة يا صديقى العزيز !

مارشان : لا يامولاى ، لأننا لم نلاحظ شيئاً مفزعا . وعند أول نظرة خدعتنا الظواهر فاطمأنت نفوسنا . وهذا هو

المريع فى الأمر . . . تصوروا . . .

(يوجه الحديث لفيلت وبياتريس وموريه الذى اقترب، كما كان يوجهه إلى مونسينيور)

تصوروا أننا لم نجد أقل اضطراب فى الغرفة .

إيفون : بالمرة !

مارشان : السرير مرتب ، والمقاعد فى أماكنها وبالقرب من النافذة المفتوحة على مصراعيها ، كان جلوجو جالساً على مقعد أمام مكتبه ، وكأنما فاجأه النوم أثناء اشتغاله بكتابة شيء ما . كان لابساً بدلة السهرة ، كما كان معنا أمس ولم نعرف الحقيقة إلا عندما اقتربنا وحدقنا فيه بدقة آه نعم ، فى هذه اللحظة ... ياله من انفعال ... ياله من انقباض ! . . .

إيفون : مسكين ياعزيزى أدلف !

مارشان : أسرعت فى الحال لاستدعاء بوكور ، ارتاع جوستان وانفجر الخدم بالصياح وحينئذ سارعتم جميعاً بالنزول .. وأما بقية القصة فأنتم تعرفون . . .

موزيه : إن هذا لغريب ! أتقول ، يامرشان ، أنه لم يكن هناك أثر للفوضى أو أية علامة من علامات المقاومة ؟ . . .

مارشان : لا شيء من ذلك بالمرة . لم يتغير وضع أى شيء ولولا نظرة بوكور الفاحصة الخبيرة لما لاحظنا صدر

القميص ، وقد تغضن ، والياقة وقد انتزعت منه انتزاعا .

موريه : لنفكر جيداً . . . لأن هذا لا ينفى مطلقاً أن يكون الحادث طبيعياً . . .

مونسينيور : (ذاكراً رأيه) إن الشخص الذى يختنق مثلا ، فى نوبة ربو ، يسارع بغريزته إلى انتزاع ياقته فى غالب الأحيان .

مارشان : هذا حقيق ولكن السيد بوكور قد لاحظ ، على ما يبدو ، ملاحظات أخرى ، كما يذكر عمدتنا الأبله .

إيفون : هذا إلى أن بوكور هو الذى استدعى هذا الغبى .

مارشان : أما أنا ، فلم أكن فى حالتى الطبيعية . . .

إيفون : مسكين ياعزيزى أدولف !

مونسينيور : أعترف بأن هذه حادثة غامضة أشد الغموض .

(بعد برهة يحذر رجل الدين)

وهذا الخادم ، هذا الخادم الذى تصادف أن مرض هذا الصباح بالذات هل أنتم مرتاحون من جهته ؟

مارشان : يبدو من مظهره أنه رجل طيب .

إيفون : لم يدخل فى خدمتنا إلا من وقت قريب .

مارشان : إنه شاب صغير لم ينته من أداء خدمته العسكرية إلا منذ زمن قليل ، والشهادات التى تقدم بها إلينا تشهد فى صالحه ، ولكن الفكرة التى مرت بخاطرك يامولاى ، ساورتنا جميعاً لأول وهلة حتى أن بوكور أحضره

في الحال وأخذ يستجوبه بكل دقة .

فيلت : (خارجاً من صمته فجأة) بوكور لا منطق له !
(يلتفت الجميع نحوه برهة . تجمدت تقاطيع وجهه.
يستمر بصوت جاف وبانفعال يجتهد في التغلب عليه)
بأى حق يلقى على كاهل هذا الطفل مثل هذه التهمة
الفظيعة دون أن يكون بيده أية قرينة ؟ نعم بأى حق ؟

مارشان : ولكن هذه المصادفة . . .

بياتريس : (بسرعة) أى مصادفة ؟ كونه مريضاً ؟ وأى قيمة لهذا ؟
أترون أن فى ذلك موضعاً للريبة ؟

مارشان : مثلا !

بياتريس : هل لو عرض لواحد منا مرض مفاجىء فى هذا اليوم
أيكون لبوكور الحق فى أن يتهمه ؟

إيفون : أوه !

مارشان : (دون عظيم اقتناع) الأمور تختلف .

مونسينيور : (مبتسما) كلا .

بياتريس : (دائماً بسرعة واندفاع لتمنع فيلت من التداخل) ولماذا ؟
هل كونه خادماً يبرر أن يكون موضعاً للشك والشبهات؟

مارشان : ولكن . . .

بياتريس : وخصوصاً فى هذه الحادثة بالذات .

مونسينيور : لماذا فى هذه الحادثة ؟

بياتريس : حيث لم يسرق شيء .

مارشان : وكيف نعرف ذلك ؟

بياتريس : قلت لنا حالا بأن ترتيب الغرفة ونظامها لم يعترهما أى خلل، ولم يفتح أى درج من الأدراج فما عسى أن يكون الباعث له إذن ؟

إيفون : الباعث !

بياتريس : أى باعث غير السرقة يمكن أن يحمل خادماً على ارتكاب جريمة ؟

موريه : هي ! هي ! هذا كلام فى محله .

بياتريس : كفى إذن فإن هذا لا يقف دقيقة واحدة أمام الفحص الدقيق . ولكن تصوروا انزعاج هذا الغلام !

فيلت : (عصبيا) نعم ، ينبغى أن لا ننسى ذلك . قولوا البوكور واسمعوا نصيحتى قولوا له أن يترك للقضاء مهمة لا يختص بها غير القضاء .

مارشان : (محرجا) إن هـــذا شديد ، شديد جداً ياعزيزى فيلت . . .

(اثناء كلام فيلت تغور عينا بياتريس اكثر من ذى قبل فى وجهها الشاحب ، وتحدقان فى زوجها وترى فيها آثار الخوف والانزعاج والاستعطاف ، واثناء الكلمات

الاخيرة من حديث مارشان يظهر الخفير
على آخر درجات السلم)

المنظر الثالث

(مارشان . إيفون . مونسينيور . فليت . بياتريس موريه . الخفير)

الخفير : (على الدرجة الاخيرة من السلم) سيدى البارون ؟

مارشان : ماذا تريد ياعزيزى ؟

الخفير : ياسيدى البارون ، لقد كلفنى حضرة النائب المحترم أن أبلغكم بأنه يكون مسروراً لو وافيته فى مكتبة القصر ، لأنه يريد محادثتك .

مارشان : آه . . . سأوافيه . . سأذهب إليه .

الخفير : (صاعدا) تحت أمرك ياسيدى .

فيلت : (لمارشان) فرصة حسنة لإقناع بوكوزبأن يكون أكثر احتياطاً وتدقيقاً . .

مارشان : (بحذر) سأبلغه رأيك هذا .

فيلت : (بصيغة القطع) نعم ، قل له أن هذا رأيى .

موريه : ورأيى أيضاً . . لأنه رأيى قلته بصوت خافت ولكنه رأيى على كل حال .

(يختفى مارشان فى السلم)

ايفون : سأتبعك يا ادولف

(لمونسينيور)

اسمح لى يامولاى، أن اصحب زوجى، هذا فضلا عن أنه لا يمكنى البقاء هنا فى هذه الثياب .

موريه : (ملتفتا بغتة لبيجامته) صحيح ! وانا أيضاً ما هذا الشكل المزرى !

ايفون : سأذهب لارتداء ملابسى .

(لفيلت وبياتريس وموريه)

وانتم ياأصدقائى أرجو ألا تغفل عينكم عن مراقبة الشرفة حتى يحضر رجال القضاء . .

موريه : اطمئنى وسنخبرك حين حضورهم .

ايفون : (بصوت فيه استرحام) وأنت يامولاى ،

(لمونسينيور)

أرجو الا تتركنا هذا الصباح

مونسينيور : (بكل تأثر) أتظنين ياسيدتى أن قلبى يساعدنى على ترككم وحدكم فى مثل هذه الظروف! لابد أن أبقى معكم إلى الغد

إيفون : ما أطيب قلبك يامولاى ! وما أكثر احسانك !

مونسينيور : ولكن مادام وجودى فى هذه اللحظة لا يفيدكم فاسمحوا لى أن أذهب لإقامة الصلاة بكنيسة ميجو .

ايفون : ولكنها بعيدة يامولاى ، فلا بد أن تأخذ السيارة .

مونسينيور : لاسمح الله ! إن المشى موصوف لى لعلاج بعض آلامى البدنية غير أنى أطلب عصا متينة من تلك العصى التى يستعملها سكان الجبال ، وسأحتذى نعلى ذا القطع الحديدية فانى احتفظ به دائماً فى حقيبتى .

ايفون : اذا كنت تريد الصعود يامولاى فتفضل (تتنحى جانباً لتوسع له الطريق) .

مونسينيور : استغفر الله ياسيدتى ، تفضلى أنت أمامى .

(يصعدان السلم فيظهر مراسلة الكولونيل ، على باب الشرفة)

المراسلة : سيدى الكولونيل ، أ أهيىء الحصان الأسمر

فيلت : لا . . . أنى أريد الذهاب بغاية السرعة، فاسرج الفرس فى الحال (يهم المراسلة بالخروج فيوقفه فيلت) بيرتو

المراسلة : سيدى الكولونيل !

فيلت : انتظر . . . اليست الفرس مجروحة فى موضع الحزام ؟

المراسلة : لاشيء تقريباً ياسيدى الكولونيل . خدش هين جداً

فيلت : اخرجها لأرى بنفسى .

(يخرج المراسلة)

بياتريس : (مجتهدة فى الاحتفاظ بثبات صوتها الذى تغير) إلى أين أنت ذاهب يابيير ؟

فيلت : إلى الحصن ، لأعطى بعض الأوامر

بياتريس : هل هناك ضرورة ملحة لذلك ؟

فيلت : ملحة جدا وعلى أية حال ، فانى سأراك قبل الذهاب إلى هناك .سأرجع فوراً .

بياتريس : نعم ارجع فأنى انتظرك .

فيلت : دقيقتين فقط .

(يخرج)

المنظر الرابع

(بياتريس ، موريه ، ثم تيريز)

موريه : (الذى يتتبع بياتريس من مدة بنظراته) أ أنت مريضة ياسيدتى

بياتريس : (خائفة تنصب قامتها) أنا ! . . . أنا !

موريه : أراك شاحبة اللون إلى حد أنى ظننتك على وشك الاغماء

بياتريس : لاشيء إلا أنى قلقة بعض الشيء . . . من أجل أصدقائنا آل مارشان الذين أراهم حائرين ، فهذا الحادث قد أثر فى نفسى ، لذلك أشعر ببعض التعب ، ولكنه تعب عابر .

موريه : يحسن بك أن تذهبي للراحة

بياتريس : بلى على العكس من ذلك ، لأن الهواء الطلق كفيل بانعاش وإزالة ما أشعر به من توعك وهبوط

(تدخل تيريز حاملةقدح شوكولاته وقطعاً من الخبز المحمر بالزبدة) .

تفضل وتناول افطارك بهدوء... وسأقوم انا بالمراقبة حتى تنتهى من طعامك

تيريز : وهو كذلك

(تخرج بياتريس إلى الشرفة)

المنظر الخامس

(موريه — تيريز)

موريه : (مندهشا) كيف ؟ أمن أجلى كل هذه المائدة ؟

تيريز : من أجلك أنت وحدك .

موريه : (متهللا) أوه !

تيريز : وحمرت لك خبزا ، أتحب الخبز المحمر ؟

موريه : حبا عجيبا ، ولكن كيف ؟ أ أنت نفسك التى ...

تيريز : لم أجد أحدا بالمطبخ ، فلم يكن بد من اعداده بنفسى .

موريه : (مندهلا من العجب) أتعرفين كيف تحمرين الخبز؟ أنت؟

تيريز : كما ترى !

موريه : وتصنعين الشوكولاته ؟

تيريز : بالماء وسميكة بعض الشىء

موريه : تعرفين تحمير الخبز وصنع الشوكولاته .

(بجد)

أوه ولكن هذا أمر خطير بل فى غاية الخطورة .

تيريز : لماذا ؟

موريه : لماذا ؟

(بعد برهة)

وأنت هل أفطرت ؟

تيريز : كلا

موريه : كلا ! أراهن أنك لم تفكرى فى ذلك !

تيريز : لا لم أفكر فيه.

موريه : لا . . . لك كل الخبرة بتحمير الخبز وصنع الشوكولاته . ثم لا تفكرين فى افطارك الخاص ، وتهيئين لى ، أنا ، هذا الافطار وبعد ذلك تسألينني عما فيه من الخطورة ؟ !

تيريز : لا أدرى لماذا . . .

موريه : ولكن افهمى ، ايتها المسكينة ، أنى ارى فيك الآن ، فجأة وفى أوضح صورة ، تلك المرأة بشكل جديد .

تيريز : كفى ! افطر بدلا من أن تسخر منى :

موريه : (يضحك) لم أعد أشعر بالجوع . . . لانى فى حالة انفعال لطيف قضى على شهيتى .

تيريز : اشرب على الأقل .

موريه : (يحس بحركة آلية قدح الشوكولاته) نعم سأشرب الشوكولاته. سأشربها حين تزول حرارتها بعض الشيء ولكنى أرى أنك لا تدركين ما اعترانى الآن بسبب هذه المسألة .

تيريز : هذا لا يهم مادمت ستخبرنى به

موريه : فوراً ، فهو كشف جديد بالنسبة لى .

تيريز : كشف جديد ؟

موريه : فجأتى ، صارخ ، (بالتحمس) ... وهو أنى رجل غبى !

تيريز : (باقتناع) لا ! لا ! هذا غير صحيح . . .

موريه : (جادا) غبى ! وابله ! بكل مافى هاتين الكلمتين من معنى . .. فقد كنت قبل الآن، باعتبارى اعزب ! اعجز عن فهم حقيقة المرأة . . . عجزا كاملا شاملا . وكنت اعتبرها نوعا من الكماليات التافهة . . . ولذلك كنت أغيرها كما يغير المرء نوع السيجار الذى يدخنه . . .

تيريز : (وقد صدمت) ولكنى لم أطلب منك أن تفضى إلى بأسرارك

موريه : هذا حق ، لأنه يخجلنى أن أفعل ذلك أمامك ولكنى الآن فهمت . فهمت بفضل تضافر هـــذه الظروف الاستثنائية على كل حال . فهمت حقيقة المرأة حق الفهم .

تيريز : قل لى ، ماهى، لكى اعرف .

موريه : هى .

(يبحث عن كلمة لطيفة ، ولكن لايجد)

هى شىء لطيف .

تيريز : (مبتسمة) لا أكثر من ذلك ؟

موريه : أوه ! أنا لست من رجال الأدب ولكن هناك أشياء أشعر بها فى بعض الأحيان شعوراً صادقاً حقيقياً . فمثلا لم أكن فى هذا الصباح منعزلا وسط هذا المجتمع الكبير ، كما قد تظنين . . . فبالرغم من أننى لم أكن أعبأ مطلقاً بهذا الذى يدعى جلوجو ، فإنى قدشعرت بصدمةشديدة لا للحادثفى حد ذاته ... بل لملابساته .. والجو الذى أحاط به . . . فهناك نوع من الحزن ، هناك شىء هائل مخوف ننتظره ولا نراه ، شىء جاثم فى أحد الأركان ... أما تشعرين بذلك ؟

(وقدتغيرت نغمتها) نعم ، حتى أنى أشعر بميل إلى البكاء .

أما أنا فلا أشعر بميل إلى البكاء ، ولكن من المؤكد ، أنى لا أشعر بميل للضحك ، وأشعر أنى تحت سطوة شىء من الخوف لا أستطيع تكييفه ، وهـــذا شىء غير طبيعى عندرجل يمتهن بيع الشمبانيا . ولذلك ألا تلاحظين أن كل زوج وزوجة يقتربان أحدهما من الآخر فى هذه الداهية المروعة . فإيفون لا تفارق زوجها أدولف . . .

تيريز : نعم . . . نعم . . .

موريه : كأنها تريد بذلك تبديد ما يكتنفها من سحب قاتمة وهذا

أوضح بالنسبة لبياتريس وفيلبت . فقد كانت العلاقة بينهما باردة كالثلج ، أما الآن فإن بياتريس لا تفارق زوجها بنظراتها قط ، وهى تتبعه كظله بدون ترو ، كما لو كانت كلبه الصغير ، حتى نراها تضطرب ولا يقر لها قرار إذا اختفى عنها بعض الوقت . لاحظى أن كل هؤلاء الناس قد جمعهم وألف بين قلوبهم ذلك الخوف الذى أصبحوا يشتركون فى الشعور به . وأنا ذلك المسكين الذى رأيت نفسى وحيداً شريداً كشىء عتيق جاف مهجور أهيم فى صحراء بيجامتى ! ... وهنا نسيت أنت إفطارك وأحضرت لى إفطارى . ربما بدا لك هذا من الأمور التى لا أهمية لها ، ولكنه عرفنى ما هى المرأة عرفنى أنها . . . أنها . . .

تيريز : (مبتسمة وبصوت خافت) شىء لطيف ؟

موريه : إنها الطيبة مجسمة ، وحب التضحية ، وكثير من الأشياء الجميلة التى تحمل للمرء كل أنواع العزاء . وهذه الشوكولاته التى تكرمت على بها تمثل أمام عينى ، وعفواً لو رأيت فيما أقول ضرباً من الهذيان ، تمثل كل أنواع الإخلاص والمحبة التى كنت أحلم بوجودها ، والتى تجعلنى أرى الزواج فى حقيقته الجميلة الرائعة .

تيريز : (متأثرة) إذن ، أشربها .

موريه : أشربها فى صحتك يا آنسة ، يا أرملة دنيو .

(يشرب جرعة)

والأدهى من كل هذا أنها حقاً لذيذة . . . نعم . . . أن المرء لا يكاد يتوهم مدى ما تحدثه هذه الأحداث التى نجتازها الآن فى نظرتنا للحياة من تغيير . . . فهى تحملنا ، لجأة ، على أخذها مأخذ الجد (يشرب) .

تيريز : (بيقين) أوه ! إن الحياة جد صارم .

موريه : بالإختصار ، ماذا تفعلين ؟

تيريز : اليوم ؟

موريه : اليوم . . . وغداً . . . وكل يوم ؟

تيريز : (مفكرة) هذا بالذات ما كنت أسائل عنه نفسى .

موريه : يبدو لى أنه لا بد من بحث هذا الموضوع معاً ، وفى الحال فلنحاول أن نظل على انفراد .

(يرى بياتريس مقبلة)

ولكن ما أصعب الظفر بالإنفراد ! فانتبهى لحركاتى ... اتبعينى .

المنظر السادس

(نفس الأشخاص ، بياتريس ، فيلت)

بياتريس : (على عتبة باب الشرفة) زوجى . . .

(تفتش عنه بعينيها)

ألم يرجع زوجى ؟

موريه : لا ياسيدتى ، كما ترين .

بياتريس : (بقلق تام) أين هو إذن ! لقد رأيته داخلا من الباب الخلفى ، فظننته آتى إلى هنا .

(يدخل فيلت من جهة اليمين)

آه .

موريه : (لبياتريس) إذن ياسيدتى أعفيك من المراقبة لآخذ مكانك ، فأنت حرة من الآن . ولكنى سآخذ معى هذه الشوكولاته ، لأنى أحرص عليها كما أحرص على إنسان عينى : فإلى الملتقى القريب .

(يبتعد جهة الشرفة وهو يشير إشارات مختلفة لتبريز التى تنتهز فرصة اشتغال بياتريس وفيلت بابتداء المحادثة لتلحق به بخفة)

المنظر السابع

(فيلت ، بياتريس)

فيلت : والآن ، أنا ذاهب ولن أمكث أكثر من نصف ساعة فى الذهاب ما دمت سآخذ طريق الدواب ، اختصاراً للوقت .

بياتريس : (تختلس النظرات الى تيريز) لا بأس وقد كنت على
وشك أن أطلب منك أن تختصر مدة غيابك إلى أقصى
حد ممكن ، لأن إيفون فى حاجة إلى وجودنا حولها .
وإذا كان المراسلة لن يصحبك ... ؟

فيلت : لا ...

بياتريس : أريد أن يذهب إلى مكتب بريد ميجو ، ليرسل تلغرافا
لعمتك وبذلك نستطيع أن نتلقى بعض أخبار روبير ،
هذه الليلة نفسها . . . و . . .

(خرجت تيريز وأغلقت وراءها باب الشرفة. تتغير
نغمتها فى حزن محموم)

بيير . . . بيير . . . إنى أقرأ فى عينيك تصميمات ترعبنى !
بيير . . أشعر أنى أكاد أفقد عقلى .

فيلت : كونى على حذر !

بياتريس : (ملتصقة به) لا . . . لا يوجد أحد . فخذنى وضمنى
إلى صدرك ، وأبقنى هكذا ، لأنى خائفـــة ، خائفة
مما يجرى هنا ،

(تمسح بيدها على جبهته)

ترى ماذا تدبر ؟

فيلت : أرجوك ! ربما حضر أحد !

بياتريس : لا ، قلت لك أنى منصتة ، إنى فى حالة شديدة ، يابيير ،

كادت قواى أن تخور حتى لتكاد تخوننى ، وأن شجاعتى
نفسها فى سبيل التلاشى . . .

فيلت : ولكنى استعدت شجاعتى كلها !

بياتريس : إذن كن سندى وساعدى ! وقل لى أن مجهودى وحبى
لم يذهبا عبثا .. ولا تنس ما بذلتـه من قوة فى هذه
الليلة التى لم يكن ليصمد لها إنسان ، وتذكر كيف
أسلمتك نفسى بعد ذلك ، كيف أسلمتك نفسى . . .
وكيف استحوذت على من جديد ! ...

فيلت : (بعمق وناظراً إليها بإشفاق ممزوج بالحنان) إنى أعبدك
يابياتريس .

بياتريس : لا أريد أقوالا ... بل أريد أفعالا .. لقد دفعت لك
من ذات نفسى نقداً وعدا .. فمن حقى ألا تضن علىّ ،
حتى بأقل أفكارك ! ..

فيلت : إنها لك كلها .

بياتريس : لا تخادع لأن ذلك لن يكون إلا وقتاً ضائعا ، فمنذ
قليل رأيت تلك الصرخة المخيفة تتأرجح على شفتيك..
رأيتك أمام الجميع وأنت على استعداد للصياح .

فيلت : (مقاطعا) نعم . . نعم . . . هذا حق فإن دور المجرم
لا يوافقنى ، لست مجرما ويكاد صبرى يتفجر ! أريد
أن أعود إلى النور ! أريد أن أعلن الحقيقة ! ...

بياتريس : ليس هذا من حقك !

فيلت : سأعلنها لهم ، على رؤوس الاشهاد !

بياتريس : لم يصبح هـــذا من حقك وإلا فلماذا عشت هذا الكابوس المخيف ؟... إنك تنسى أن سرك لم يعد لك وحدك !.. ولكنه لى أيضا !.. وسواء أردت أم لم ترد ، فإنى شريكتك فى الجريمة !

فيلت : بياتريس !

بياتريس : نعم شريكتك أتجرؤ على التبليغ عنى ؟... أهذا مبلغ شجاعتك ؟ لقد عرفت الآن ما تسميه شجاعة ، فوالله أنها لشجاعة الأطفال ، أما الشجاعة الحقيقية فهى التى أعرفها أنا الآن ، والتى تجسمت بشكل امرأة قادتك فى الليل فى دهاليز هذا القصر منصتة إلى كل حركة . متسمعة تنفس النائمين محاذرة من كل مداهم ، وسامعة لدقات قلبك وقلبها ...

فيلت : كفى ! كفى !

(يأخذها ويضمها الى صدره فتغطى عينيها بشدة بكلتا يديها ، كأنها تريد الهرب من الذكرى)

عزيزتى ! كم تتألمين ، لا أطيق أن أراك تتألمين هكذا !

بياتريس : إذن كن شجاعا ! ولا تخلط بين الشجاعة والـ....

فيلت : (دون أن يتركها تتم كلامها) الجبن ! الجبن ، ياعزيزتى ، هو أن أترك بريئاً يتهم ، ولا أتكلم . إنك يابياتريس تجهلين نفسى كما أجهل نفسى أنا أيضا . إنى لا أطيق هذا المسلك الشنيع .. فنحن لم نخلق لهذا !

بياتريس : كلمات ! دائماً كلمات ! فأى شبهة يمكن توجيهها لبرىء ؟ لا شىء وفى كل هـــذه الحادثة لا يوجد سوى برىء واحد ، أتحداك أن تضحى به وهو ابنك .

(تبتعد عنـــه)

كفى !

(يفترقان ، مونسينيور جوسى ينزل على السلم وقبعته على رأسه وبيده عصاه الجبلية)

المنظر الثامن

(نفس الأشخاص ، ومونسينيور)

مونسينيور : هل تستعد للخروج ياسيدى الكولونيل ؟

فيلت : نعم ، أنا ذاهب الآن .

مونسينيور : فى طريق ميجو ؟

فيلت : لا ، بل سأصعد إلى حصن أوربيه .

مونسينيور : لسوء الحظ ، لأنى كنت أود صحبتك بعض الطريق .

فيلت : إنى متأسف ، وأعتذر أن أرانى مضطراً للاستئذان

فوراً ، لأنى تأخرت عن ميعادى .

(ينحـــنى)

مولاى .

بياتريس : ارجع سريعاً ، ياصديق .

(تنظر إليـــه وفى نظراتها من القلق والألم ما يضطر فيلت إلى أن يجيبها بالمثل . فيأخذ يدها ويقبلها قبلة طويلة ، ويخرج مهرولا وقد لاحظ مونسينيور جوسى هذا الحنان الوفور بكثير من الاهتمام) .

المنظر التاسع

(مونسينيور ، بياتريس)

مونسينيور : (متردداً) لى سؤال ياسيدتى . ومن حقى أن لا تعتبريه فضولا خصوصاً بعد حديثنا السابق .

بياتريس : أعرف يامولاى سؤالك . ولن أعتبره فضولا ، بل بالعكس من ذلك ، أرى من الواجب على أن أجيب عنه بكل صراحة .

مونسينيور : هل ما رأيته ممكن الحصول ؟ هل ما لاحظته الآن أمر حقيقى ؟

بياتريس : حقيقى !

مونسينيور : (وقد استنار وجهه) يسعدنى أنى استطعت إقناعك ،
وأنك عدلت عن ....

بياتريس : عن الإنفصال عن زوجى ، نعم .

مونسينيور : (آخذاً يدها) آه .. ما أعظم سرورى بك ، يابنيتى ! . .
وكم أؤنب نفسى على ما داخلنى فيك من الشك ، وما
أظهرته نحوك من غضب ، وأى عذر يعصمنى الآن
من غضب من بيــده مصائرنا ، ومن كنت أغضبه
بإساءة خدمتى له .

بياتريس : شـكراً لله لست فى حاجة إلى أى عـذر يامولاى .
ولـكن لنا جميعاً عذرنا فيما كان بيننا من سوء تفاهم ،
فقد نقمت منى باعتبارى صورة تركزت فيها عيوب
وأوزار قديمة ، ولـكنى بعد ذلك عدت فهمت يامولاى
أنى لست إلا شيئاً صغيراً معذباً رقيقا .

مونسينيور : (بلطف كبير) امرأة .. .

بياتريس : مجرد امرأة .

مونسينيور : أنا لم أكن أطلب منك أكثر من ذلك ، يا إبنتى وهى
رحمة الله التى ألقت السكينة فى قلبك ، وليس فى وسعك
أن تقدرى ما أشعر به من لذة الإنفعال .
(محدقاً فيها جيــداً)
وهل أعلنت أحداً غيرى بقرارك الحكيم هذا ؟

بياتريس : كلا ، إلى الآن .

مونسينيور : لا بد من إعلانه فورا .

بياتريس . (مرتاعة) لا أستطيع فى هذا اليوم يامولاى لأنى فى شدة التعب .

مونسينيور : إذا كان لابد من وضع السلاح فى الجرح ، فمن الشجاعة ، ماذا أقول ، بل من الشمم أن لا نلجأ إلى التأجيل .

بياتريس : غداً يامولاى ، غداً .

مونسينيور : بل حالا ! وإنى أطلب منك ذلك ، كدليل على صدقك . بل انتظرى وسترين أنى سأخفف عنك وقع الصدمة الأولى بتدخلى الشخصى وسأكون الجراح الماهر الذى . . .

(تتراجع إلى الوراء كأنما تريد الفرار) (بحزم) لاتحاولى الفرار يا إبنتى أبقى .

(لأنهما رأيا بوكور ينزل على السلم وقد تقلص وجهه وبدا عليه القلق ، ويدخل فى نفس الوقت الذى يسمح له برؤية حركة التقهقر من جانب بياتريس) ،

المنظر العاشر

(نفس الأشخاص ، بوكور)

مونسينيور : حقاً أنا فى شدة الارتياح لمقابلتك ياسيد بوكور ،

ولن أتردد فى إن أدلى إليك بهذا الاعتراف وهو أن تحت هذا السقف المحزون يوجد قلب قد امتلأ هذا الصباح بهجة وانشراحا .

بوكور : (بنوع من الوقار الذى لا يخلو من كبرياء) وإنى أهنئه وأغبطه على ذلك يامولاى ، من غير أن أسألك عن سر هذا الفرح الغريب .

مونسينيور : أوه ... كنت معتقداً أن حكمك علىّ سيكون قاسياً ، لأن آلامنا وأفراحنا بطبعها متنافرة . فأنا لا أهتم أبداً بمن ماتوا ، بل أطلب لهم الرحمة وأصلى من أجلهم ، أما عواطفى ومجهوداتى كلها فأحتفظ بها لصالح الأحياء ، فلا تؤاخذنى ، ياسيدى ، واسمح لى ، برغم الظروف الحاضرة ، أن أبتهج لتأكدى ، مرة أخرى ، من نجاح رسالتى المتواضعة فى هذه الدنيا . أحتجت إلى ليلة واحدة لهداية نفس لم تستطع أنت إضلالها فى أقل من عام كامل . لأن الواقع أننا نتصارع من أجل نفس بشرية ، وها هى ذى الآن على الصراط المستقيم الذى لن تستطيع ، مهما حاولت ، أن تحيد بها عنه مرة أخرى . وهذا بحمد الله وتوفيقه .

(صمت من بوكور)

أما تريد أن ترد علىّ بشىء .

بوكور : (ببرود بعد أن ألقى نظرة إلى بياتريس التى تكاد تخونها قواها) مطلقاً ياسيدى .

مونسينيور : (ببساطة تامة ودون تبجح) أقرئك السلام ، ياسيدى .

(لباتريس)

وإلى الملتقى يابنيتى .

(يخرج وسط صمت الجميع)

المنظر الحادى عشر

(بوكور ... بياتريس)

بياتريس : (التى لاتكاد تقوى على الكلام) مارسيل ! ... صديقى ! .. سامحنى

بوكور : (بصوت خافت ونظرة جامدة) فى أى شىء أسامحك ؟ إن هذا القسيس كذاب .

بياتريس : مارسيل !

بوكور : انه كذاب ، انه محتال! فقد تكونين قد قصدت خداعه لتتخلصى من مضايقته .

بياتريس : كلا فقد أقنعنى !

بوكور : بلا شىء .

بياتريس : بأخطائى . برهن لى على أنى ملك لابنى ، لأسرتى التى

كونها طائعة مختارة . . كما ايقظ فىّ معتقداتى أيضاً....

بوكور : هذا بهتان لأن وخزات الضمير هذه لا يمكن أن تستيقظ فى ليلة واحدة

بياتريس : أغلب الظن أنى لم أكن قد فقدتها تماما . .

بوكور : قولى هذا لغيرى لأنى لست أبله ولا أعمى فقد انقضى عام كامل وأنا دائب على دراسة نفسك . . . عام كله حب صارخ صبور متواضع ملتهب كامل غير منقوص. انى أعرفك تمام المعرفة وأعرف انك لست أنت المرأة التى تنطع فى الدين ، ولا تنفك عن الجلوس فى كرسى الاعتراف وتتأرجح بين حواسها وخرافاتها.

بياتريس : أنا لا أعرف حقيقة نفسى . . .

بوكور : أما أنا فأعرفها فأنت قلب طاهر نقى مفعم بالتروى وقد أحببتنى عامدة متعمدة .

بياتريس : مارسيل ا سامحنى ، فلا بد أن أكون قد خلطت بين حب الغرام وحب الاعزاز الأخوى .

بوكور : كلا

بياتريس : وبرهانى على ذلك أنى لم استسلم لك

بوكور : لم تستسلمى لى، لأنى لم أطلب منك هذا الاستسلام، وقد فعلت ذلك لأشعرك بالمقام السامى الذى حللته من قلبى .

بياتريس : بل كانت هناك أشياء أخرى ، يامارسيل ، أشياء أخرى لا تتعلق بارادتنا ، وكنت أنا أسيرتها وحارستها فى آن واحد ، كاسمى مثلا ، وكابنى ، وهذه الأشياء هى التى حفرت بيننا هوات عميقة مخيفة ، عميقة لدرجة أنها حالت بين اجتماعنا ، فى نفس الوقت الذى اعتقدت فيه أننى أصبحت ملكا خالصاً لك ، لا ينازعك فيه منازع .

بوكور : قلت لك أن هذا بهتان ، كنا ننفر من الخضوع لتلك البدع الاجتماعية بقدر ما تنفرين أنت من الخضوع لبدع الكنيسة . . .

بياتريس : إذن فلأى شىء أخضع الآن ؟

بوكور : انى لا اجرؤ على التفكير فى ذلك . . . ولكن انتظرى فهناك حقائق تملأ النفوس رعباً ، لأنها تظهر لنا فجأة فنتراجع امامها خشية ووجلا

بياتريس : حقائق !

بوكور : انتظرى ، فسنبحث الموضوع بامعان ، حدقى فى جيدا ، وقولى « انى اصبحت لا أحبك »

بياتريس : أتوسل إليك . . . لماذا كل هذا العذاب ؟

بوكور : قولى ماطلبته منك لاسمع كيف تنطقين به

بياتريس : (محولة عينيها عنه) مارسيل يخيل لى أنى لم أكن أحبك حب غرام .

بوكور : وجها لوجه ، لأنك لم تقولى ذلك فى وجهى .

بياتريس : (ناظرة إليه) فليكن : لم أحبك حب غرام

بوكور : ولكنى لا أصدقك لأنى لو صدقتك لجن جنونى من شدة الألم ، لأنه لا شىء فىّ يستطيع الصمود لهذه الصدمة ، لاعقلى ولا جسمى ، فلا خلاص لى إلا فى رفض تصديقك . . .

بياتريس : (فى ألم شديد) ومع ذلك ينبغى أن ننتهى من كل هذا ..

بوكور : لاأصدقك ... وكيف اصدقك ، ولم تمض إلا ساعات معدودات على ارتجافك من ذلك الاستبداذ الغاشم ، أما القس فقد صمدت لفضوله . . حتى لم أشك حينئذ لحظة واحدة فى أنك قد أصبحت لى روحا وجسما . كنت فى انتظارى، وكنا على وشك الاتفاق على تحطيم تلك الحواجز تحطيما نهائياً وبكل شجاعة .. نعم كنا على وشك تقرير مصيرنا تقريرا ابديا . . . وفجأة أرانى اصطدم بهذا الكذب !!

بياتريس : أى كذب ؟

بوكور : كذب مفجع . . . وهذا ما علمته منذ ساعة فقط ، وهاأنت ذى تؤكدينه لى الآن. لانك لما بدأت تحتجين لى بتلك الأسباب المفاجئة التى تتعلق بالضمير ثم رحت تؤكدين لى أنك لم تحبينى قط ، كشفت عن تناقضك

الشنيع وأصبحت أخطر اداة اتهام وأن ما تقرأين الآن فى عينى ليس قلق الغيرة ، بل الفزع القاتل ...

(ثانيتان مشحونتان بالهول لم يفترق اثناءهما بصراهما ، وقد بدا على بياتريس أنها على وشك الانهيار ،ولكنها على العكس من ذلك، استطاعت فى غمضة عين أن تتسلط على أعصابها وتتغلب على نفسها بمجهود يفوق قوة البشر)

بياتريس : (بصوت تريد أن يكون هادئا) أنا حائرة فى الغازك هذه ،ويحسن أن تفسر لى مايجول بخاطرك .

بوكور : سأفسر .. لم تكن آنيت هى التى فى غرفتك هذه الليلة

بياتريس : (بعد تردد) هذا حقيق .

بوكور : نعم هذا حقيق .. فمنذ هذا الصباح وأنا أخمن وأستجوب الناس والأشياء حتى جمعت من القرائن والشبهات مايكاد يكون دليلا ! لم تكن آنيت فى غرفتك هذه الليلة ! ...

بياتريس : هذا ماقلته لك الآن .

بوكور : ولم يكن عندك عشيق اليس كذلك يابياتريس؟

بياتريس : لا أظن ذلك .

بوكور : إنما كان عندك شخص هارب .

بياتريس : شخص ؟ .

بوكور : شخص هارب تريدين إنقـــاذه الآن ، لأنك سكرى بنشوة التضحية .

بياتريس : لقد ازداد كلامك فى ذهنى غموضا !

بوكور : لقد فات الأوان .

بياتريس : اسمع ، بما أنك تجبرنى على أن أكون قاسية معك، فاعلم أنى كنت آوى فى غرفتى عشيقاً ، لأنه لم يكن أحداً آخر غير زوجى .

بوكور : نعم كان زوجك ! فلكى تساعديه على التخلص ، تلقين بنفسك إلى التهلكة ، ولكنى أقسم لك بأنى لابد أن أمنعك من اقتراف هذه الجريمة بالرغم منك ، بل وبجلب الأذى إليك ، إذا لزم الأمر .

بياتريس : وأنا أقسم لك بأنه قضى الليل كله . . .

بوكور : الليل كله ، يابياتريس !

بياتريس : الليل كله فى مخدعى .

بوكور : لم يقض زوجك الليـــــل كله عندك ، كما أن جلوجو لم يقض الليل كله فى غرفته .

بياتريس : ما هذا ! إنك تهذى !

بوكور : لقد فات الأوان كما قلت لك فقد تكلمت عيناك فتم اقتناعى . والفظيع فى هذه المسألة هو أنك تعلمين منها قدر ما أعلم بل أكثر مما أعلم ، وذلك لأنه اعترف لك بتلك الجناية المروعة . وأن عقلى ليتأرجح بين الشك واليقين منذ خمس دقائق ، ويتساءل لمـــــاذا

تدافعين عنه ؟ أهو الإخلاص والتضحية اللذان يعلوان على طاقة البشر ؟ ... كلا لا بد أن يكون هناك أمر آخر ... وفى هذه المرة لم تكذبى على إذ أنه أصبح عشيقك مرة أخرى .

بياتريس : تملك أعصابك !.. انك مجنون !

بوكوز : لو كنت مجنونا حقيقة لما قلت لى ذلك بهذا الصوت الخافت ، بل لصرخت به وأهجت المنزل بمن فيه ، ولما ارتجفت كل أعضائك خوفا من أن يسمع حديثنا أحد ، ولما رضيت بالبقاء هكذا كالجناة أمامى وتحت رحمتى.. فلماذا ؟

(سكوت)

لماذا اذن تريدين انقاذ هذا المجرم ؟

(سكوت وينظر كل منهما للآخر نظر العداء الصارم)

بياتريس : وأنت لماذا تريد القضاء عليه ؟

بوكور : لأن هذا واجبي .

بياتريس : لا ، بل لأنه استردنى .

بوكور : (خارجا عن طوره من الغيظ) نعم هذا حق . . . اعلم الآن أنه استردك ، استردك فى الجريمة ، كإحدى المتعوسات ... أنت التى كنت تبغضينه بالأمس !

بياتريس : حذار من أن أبغضك أنت اليوم !

بوكور : أنا ؟

بياتريس : نعم أنت . . . فقد نزلت ، فى نظرى ، من سمائك . . . ما أنت إلا رجل كغيرك من سائر الرجال . . . أيكفى أن يكون رجل قد أخذ منك ما لم يكن لك ، حتى تسعى إلى الإجهاز عليه دون أن تعرف بواعث فعلته بجردمعرفة ؟ تصفه بالإجرام ، وأنت لا تعلم من أمره شيئاً ولا تحاول أن تعلم .

بوكور : أعلم أنه قاتل ؟ . . .

بياتريس : وإنى تعسة . نعم ! نعم ! أما أنت فالواجب ، الواجب ، الواجب ! . . . . فأنت تنتقم انتقام الحقد والصغار ! هيا اعمـــل واجبك . . . واجب الواشى ! اذهب للوشاية به ! اذهب للتبليغ عنه !

بوكور : (خارجا عن طوره) إنك تحاولين عبثا . . .

بياتريس : لا أهمية لذلك فسأكون بجواره ، وله كل حبى ، أما أنت فلن تحظى بى أبدا ! . . . .

(يفتح بوكور ذراعيه كرجل لا يستطيع المرء أن يجزم بما إذا كان يهم بالطعن أو إذا كان قد تلقى هو طعنة قاتلة ثم ينهار على مقعد ورأسه بين يديه ، سكوت طويل تبـــدو بياتريس كأنها تخرج شيئاً

فشيئا من نوم عميق ، متجهة بعينها ناحية الأبواب
والسلم والشرفة ، وتخطو خطوة جهة اليمين وخطوة
ثانية ثم يعود إليها عقلها وتدرك حقيقة الموقف ،
فتتسمع لتعرف ما إذا كان أحد قريباً منهما .
يسمع فجأة صوت بوق سيارة يمزق الفضاء فيرفع
بوكور رأسه وعيناه جامدتان زائغتان . بياتريس
ملتصقة بمكانها . ثم سكوت جديد وبعد ذلك يفتح
باب البهو ويدخل منه موريه مسرعاً تتبعه تيريز)

المنظر الثانى عشر

(نفس الأشخاص ، موريه ثم تيريز)

موريه : قل لى ... آه ! أنصت يابوكور ! لقد حضروا ، ونزلوا
من السيارة وها هم قادمون .

بوكور : (كما لو كان قد انتزع من حلم) آه ! . . . نعم ! من ؟

موريه : رجال النيابة !

بوكور : نعم ، وبعد ؟

موريه : أريد أن أعرف ماذا نعمل ؟

بوكور : نعم . أخبر مارشان .

موريه : سأخبره . فهل ستبقى هنا ؟ هل تريد أن تستقبلهم ؟

بوكور : نعم .

موريه : حسن (يصعد السلم قفزاً) .

تيريز : (مرتجفة) آه . . ياسيد بوكور ! ما الذى سيحيق بنا
لقد كان فى وسع الإنسان أن ينعم بالراحة والسعادة !
ولـكن يا لحماقة الحياة !

بوكور : (كأنه يقول لنفسه ، وبألم) نعم ، يا لحماقة الحياة !

(يفتح باب اليمين ، ويدخل جوستان مضطرباً ،
وهو يفسح الطريق لأعضاء النيابة)

المنظر الثالث عشر

(بوكور ، بياتريس ، تيريز ، رئيس النيابة ، قاضى التحقيق)
(الطبيب الشرعى ، كاتب الجلسة ، ثم مارشان)

رئيس النيابة : (مهرولا إلى بوكور) معالى الوزير!

بوكور : لقد أرسلت أنبىء البارون مارشان بحضوركم ، وسيأتى
لاستقبالكم بعد برهة .

(رجال القضـاء ينحنون للتحية . القاضى يلمح
بياتريس وتيريز ، ويخطو خطوة نحو بياتريس)

القاضى : سيدتى البارونة ؟

بياتريس : (بنوع من الكبرياء) لا ياســـيدى ، أنا زوجة
القائمقام فيلت .

القاضى : (منحنياً) سيدتى ! . . .

(ينظر جهـــة تيريز)

تيريز : (تذكر اسمها بصوت خافت يكاد لا يسمع) مدام ... دنيو ...

(يحييها القاضى بعدم اكتراث)

بياتريس : (لتيريز) تعالى ياسيدتى ! ولنترك هؤلاء السادة ، فربما ضايقهم وجودنا .

(تخـــرجان فيحييهما القاضى ورئيس النيابة والطبيب الشرعى بانحناء من الرأس ، يظل الكاتب وحده مبديا مظاهر التبجيل والاحترام)

رئيس النيابة : إنها لفرصة سعيدة ، تلك التى جعلتنى أحظى بلقائكم هنا ، يامعالى الوزير أظن أن معاليكم لا تذكرنى (مقدمانفسه) هنرى كارتيل ، رئيس نيابة «سان كلود» وقد كان لى شرف المثول فى مكتب معاليكم يوم كنت رئيسنا الأعلى ... هذا إلى أنى لم أنل هذا المنصب إلا بفضل رعايتكم وعطفكم علىّ .

بوكور : (ببرود) إنى أعرفك ، ياسيدى .

رئيس النيابة : (مقدماً الآخرين) السيد روديه ، قاضى التحقيق ...

القاضى : (منحنياً) إنى فى شدة الخجل ، لأنى لم أسعد بما سعد به السيد كارتيل ياصاحب المعالى !...

(بمـــرارة)

لأنى قانع بوظيفتى المتواضعة . . .

رئيس النيابة : (باهتمام) أهم ! الدكتور ديفو ، الطبيب الشرعى . . .

(مشيراً الى الكاتب بصوت فيه شيء من عدم الاكتراث)

كاتب السيد روديه . أتسمحون لى ، ياسيدى الوزير ، بأن أنتهز هذه الفرصة السعيدة لأهنىء معاليكم مقدما ...

بوكور : (دون أن يترك له الوقت) بأى شيء ياسيدى ؟

رئيس النيابة : بذلك الخبر الذى أجمعت على روايته كل الصحف ... إذ لم يعد سراً أن حزبكم مصر كل الإصرار على إعادة إسناد منصب وزير العـــدل إلى معاليكم فى الوزارة المقبلة و . . . .

بوكور : (بكل برود ، ومقاطعاً كلامه أيضاً) لا أخفى عنـك ياحضرة رئيس النيابة أن هذه التوافه بعيدة عن ذهنى كل البعد فى هذه اللحظة . . .

(يدخل ماشان)

رئيس النيابة : (خجلا مضطربا) بالتأكيد ، ياسيدى الوزير ، وإنما أردت أن أظهر . . .

بوكور : (مشيراً الى مارشان) البارون مارشان .

(تحيات)

القاضى : إذا صحت المعلومات التى سمعناها من عمدة ميچو ، فإنه يبدو أننا أمام حادثة غامضة محوطة بالألغاز .

بوكور : نعم ، إذا نظر الإنسان إليها لأول وهلة .

رئيس النيابة : هل لى أن أفهم من ذلك أن معالى الوزير أنعم النظر؟...

بوكور : (بشكل قاطع) نعم .

القاضى : يسر رجال القضاء فى الأقاليم أن يبرهنوا لمعاليكم أنهم يبذلون كل جهد لكيلا يكونوا أقل تحقيقاً وتدقيقاً من زملائهم فى العاصمة .

رئيس النيابة : (مندفعاً) ولكن يسعدنا يامعالى الوزير ألا تضن علينا بإرشادكم السديد وآرائكم الصائبة التى سنتقبلها بكل شكر وعرفان للجميل . فهل تتفضل ؟ . . .

بوكور : (غارقاً فى أفكاره) ليس الآن ، أيها السادة ، لأنى لا أريد أن أؤثر على سيركم فى التحقيق .

رئيس النيابة : ولكن . . .

بوكور : هذا رأيى الأخير . وبعد لحظة يمكننا ، إذا راقكم ذلك ، أن نقارن استنتاجاتنا بعضها ببعض ، ولكن أجمعوا ملاحظاتكم أولا . وأنا منتظركم فى هذه القاعة .

مارشان : (فى شدة الارتباك) تفضلوا ياحضرات السادة . . .

رئيس النيابة : نحن وراءك ياسيدى .

القاضى : (لرئيس النيابة) هل أنت عازم على أن تعمل معى فى نفس الوقت ؟

رئيس النيابة : (مندهشاً) طبعاً ! وهذه هى العادة ! على ما أظن ؟

القاضى : (تابعاً مارشان) بالتأكيد .. بالتأكيد ... أنا لا أطلب منك إلا أن تترك لى مباشرة التحقيق ، ولك بعد ذلك أن تأخذ فى إعداد اتهاماتك فوراً إذا كانت المسألة تستدعى هذه السرعة .

رئيس النيابة : ولكن ما معنى كل ذلك ؟ فليس من عادتى ، على ما أعلم أن أغير على اختصاصك ؟

القاضى : أما أنها عادة ، فلا . . . ولكنى أشير مجرد إشارة إلى تلك المسائل الطفيفة التى فرقت بيننا فى حادثة . . .

(تختفى أصواتهم فى السلم)

المنظر الرابع عشر

(بوكور . . . جوستان)

(يمشى بوكور فى الغرفة بضع خطوات يفكر ورأسه غائر فى كتفيه ، وجبهته مثقلة بالمشاغل وعيناه ملتهبتان . يخرج إلى الشرفة ويرى جوستان ماراً فيناديه)

بوكور : جوستان هل مدام فيلت هناك ؟

جوستان : مدام فيلت نزلت إلى الحديقة ياسيدى بوكور ، فقد

لمحتها منذ لحظة جهة النافورة .

بوكور : وحدها ؟

جوستان : مع مدام دنيو ، على ما أظن .. نعم مدام دنيو هل تريد أن أذهب لـ . . .

بوكور : لا ، هذا يكفى . . .

(جوستان على وشك الابتعاد)

جوستان يحتمل أن أسافر بالقطار الذى يغادر سان كلود فى الساعة الحادية عشرة فهل يمكن إيصالى إلى المحطة بالسيارة ؟

جوستان : بالتأكيد ياسيدى بوكور ،وسأخبرالسواق بأن يستعد. هل يكفى أن يكون على أهبة الرحيل فى الساعة العاشرة والنصف ؟

بوكور : يكفى ، مع الشكر

(يبتعد جوستان)

المنظر الخامس عشر

(بوكور . . فيلت)

(فى أثناء هذا الحديث الذى جرى فى الشرفة يدخل فيلت البهو من الباب الأيمن ويجلس أمام منضدة صغيرة معدة للكتابة . لا يكاد بوكور يراه حتى يتصلب جسمه

فى توتر شديد ، فيدخل البهو مندفعاً ، ويقف أمام الكولونيل ثم يخاطبه بخشونة .)

بوكور : لدى كلمتان ، أريد أن أقولهما لك أيها السيد

(ينتفض فيلت قائما كأنما لسعته شرارة كهربائية ويرمق بوكور كما يرمقه . فيقول له بوكور فى وجهه)

هل تعرف قاتل جلوجو ؟

فيلت : كما تعرفه أنت

(سكوت)

بوكور : أ أعتبر هذا اعترافا منك ؟

فيلت : عفوا . انما هو بلاغ

بوكور : سيان

فيلت : كلا ليسا سواء . ولكن لندع الكلام فى الفروق الدقيقة للمعانى فهذا الذى تدعوه قاتلا . . . .

بوكور : ألديك اسم آخر ؟

فيلت : ربما

بوكور : على كل حال ، أنه أنت ؟

فيلت : انه أنا

بوكور : ياله من مسلك جميل ! كنت فى الانتظار ، فهل أخبرك أحد بذلك ؟

فيلت : مطلقا

بوكور : وإذن فكيف عرفت أنى أعرف ؟

فيلت : لمحت ذلك فى مجرد النغمة التى سمحت لنفسك أن تستجوبنى بها

بوكور : سمحت لنفسى ! ..

فيلت : نغمة المنتصرين !

بوكور : (الذى يبدو أنه يحاول التحكم فى نفسه) كلا أيها السيد. فأنا لا أدرى أنى هزمتك أنما أنت الذى هزمت نفسك بنفسك . أما أنا ، فأكلمك كما كنت أكلمك بالأمس .

فيلت : بوصفك خصما .

بوكور : بل عدوا !

فيلت : بالضبط

بوكور : وعدواً لدودا ، كما أحذرك

فيلت : هذا من نافلة القول . فانى أرى بنفسى .

بوكور : ألا يدهشك هذا ؟

فيلت : مطلقا

بوكور : ولكنه يدهشنى أنا فإن الحقد عاطفة كنت أجهلها حتى أرغمتنى على الشعور به نحوك .

فيلت : (محتفظاً دائماً بهدوئه) ليس الحقد عاطفة ياسيدى ، إنما هو مرض ونوبة

بوكور : نوبة عدالة !

فيلت : بل نوبة أنانية ، ولن تمر سنة ، أو شهر ، بل ربما لن تمضى خمس دقائق ، أى حينما تصبح كائنا مفكرا طبيعيا متزنا من جديد ، حتى تذهل كل الذهول ، لنزولك إلى هذا المستوى الذى أراه أمامى . . . بل ولابد أن يحمر وجهك خجلا كلما فكرت فى الأسباب التى تدفعك الآن إلى الإيقاع بى .

بوكور : هذه الأسباب هى أعمالك .

فيلت : لا بل هى خيبة آمالك فانك أردت أن تسلبنى كل ما لى من حنان ، أردت أن تأخذ منى امرأتى . . . وأن تحطم عشى ... ولكنك لم تنجح . فقد سددت الطريق فى وجه اللص . . وها هو اللص يتذرع بالعدالة ، ياللعجب ! .

بوكور : إن هذا الحنان لم تكن تبالى به منذ زمن بعيد . فجعلت هذه المرأة أتعس النساء . انها لغريزة خبيثة تلك التى جعلتك تحول بينها وبينى حين أردت أن أعيد إليها السعادة . فأنت تتمسك بحق شرعى ، وأن كان أحط الحقوق وأسوأها ! وهو حق الملكية ، وبحق آخر لا يقل عنه شناعة وهو حق القوة أما عشك ، فماذا بقى منه ؟ وماذا يمكن أن يتبقى منه ؟ لقد أحلته حطاما . ولم تكتف بكل هذا فأضفت إليه النذالة . . . ومع ذلك لم تسترد أى شىء . ولكنك استغللت عاطفة البذل

والتفانى فى هذه المخلوقة المسكينة، فأشركتها فى الكارثة.
وأخذت عن طريق الضعف ماطردته بالعنف . . .
فقضيت على حياة إنسان وبالتالى حطمت حياة شخصين!
انك مجرم أثيم ، وأنى اكرهك بقدر ما أكره الشر .

(صمت)

فيلت : (وقد تمالك نفسه) هل انتهيت ؟

بوكور : (بحقد وغيظ) انى اكرهـــك ولا مكان للاشفاق عليك فى قلبي

فيلت : هذا ما انتظره ولكننى بالعكس منك اشفق عليك كل الاشفاق لأن كل شتمة من شتائمك أنة ألم مليئة بالجبن

بوكور : الجبن !

فيلت : نعم ، الجبن المشين . وقد كنت بالأمس اكثر ثباتا وتبصراً. فلابد أن تكون اليوم فى اشنع حالات الألم.

بوكور : أأنت الذى تجرؤ على . .

فيلت : (بحركة قاطعة ولكن دون أن يرفع صوته) كفى أيها السيد ، كفى لا تصرخ هكذا ، فقد يقبل علينا أحد .... ونحن لم ننته بعد .

المنظر السادس عشر

(نفس الأشخاص ... بياتريس)

(يسكتان لأن بياتريس تظهر على الشرفة حين تلمح الرجلين وقد حدق كل منهما فى وجه الآخر ، تسرع نحو فيلت مرتاعة)

بياتريس : (بصوت أجش) بيير !

فيلت : دعينا الآن يابياتريس ، وسأوافيك بعد قليل .

بياتريس : (بحنان أليم) بيير . . . أردت أن أقول لك . . . مهما يكن من شيء ومهما أرادوا بك ..

فيلت : (آخذاً بيـــدها نحو الباب) أرجوك !

بياتريس : مهما يكن من شيء فإنى معك ! إنى معك يابيير ! فاذكر ذلك ولا تذكر غيره ، فأنا معك !

فيلت : بياتريس ، هدئى روعك !

بياتريس : (فى عصبية) لا تخلو الأرض من العدالة ! . . . وأنا واثقة من ذلك . . . وأريد أن يكون الأمر كذلك ، أنا التى سأتكلم ... إنك تبالغ فى الاعتزاز بنفسك ، وفى الظهور بمظهر الغلظة . . . ولذا لا تعرف كيف تدافع عن نفسك .

فيلت : أتوسل إليك . . .

بياتريس : أما أنا فإن حبي سيملي على الكلمات التي يجب أن أقولها .
لكل منا مواهبه ومعجزاته . . . أنا لا أخاف أحداً ..
لا أخاف أحداً !

فيلت : دعينا .. يجب أن تتركينا فلدينا بعض الحديث والدقائق
تمر بسرعة وسأوافيك فانتظريني فى الحديقة الشتوية ..
هيا ، اذهبي . .

(أطاعت بصورة آلية وخرجت مترنحة كما تهاوى
بوكور كأنما طعن فى قلبه تم قفز قفزة نحو السلم
فيوقفه فيلت بنداء الآمر)

المنظر السابع عشر

(فيلت ، بوكور)

فيلت : (وهو على عتبة الباب) قف أيها السيد ، فإننا لم ننته بعد !

بوكور : (وقد وصل السلم) هذا ما تعلل به نفسك .

فيلت : لا ، لم ننته بعـــد فلا مناص الآن من أن تعرف كل
شيء . فجلوجو . . .

بوكور : هذا لا يهمني فاحتفظ بمبرراتك لذكرها أمام القضاة .

فيلت : أنا لا أنتظر من قضاتي سوى الحكم على ولكني أنتظر
منك أمراً استثنائياً ، أمراً إنسانياً جليلا هل تعرف
ماذا كان جلوجو هذا ؟

بوكور : أكرر لك مرة أخرى ...

فيلت لقد كان جاسوسا !

بوكور : (وكأنما التصق بمكانه) .

فيلت : نعم، أتنصت الآن لما أقول لك ؟

بوكور : (نازلا من السلم) جاسوس !

فيلت : آلة من هذه الآلات القذرة التي تثير الاشمئزاز حتى لدى من يستعملونها ، وأنا لا أقول لك ذلك لأبرر به عملي ، بل لأفسر لك المسألة . لقد أوقعني في أحابيله . وتخلل حياتي زاحفاً كما تزحف الأفعى ، ليباشر مهنته الدنيئة . وقد كان يستغلنا جميعاً في سبيل أهدافه . فباريس بإيوائها إياه ومارتان باستضافته له ، وأنت بمد يدك إليه مصافحا ، وأنا بوقوعي في شباكه مغمض العينين .. بهذه الطريقة كان يسرق صغائر أسرارنا الوطنية ، في انتظار ما هو أعظم من ذلك خطراً ، كان يسرق مشاعرنا وأفكارنا ، ومخاوفنا ، وآمالنا . وكان يرسل كل هذا إليهم ، هناك . .

بوكور : (مذهولا) ولكن هذا مستحيل !

فيلت : ولكنه الواقع وهم هكذا مئات يندسون بيننا وإني أحس الآن بخراطيمهم الخفية ملتصقة بجباهنا ... ولكن جلوجو أراد أن يفوق الجميع وطمحت نفسه

أن يضرب ضربة معلم ، بأن يحمل فى جيبه أهم موقع من مواقع دفاعنا فى صورة بعض الخطوط الهندسية ..

بوكور : أوريه ! . . .

فيلت : لا أقل من هذا وهو فكنا المستعد للقضم لدى أول هجوم . وما دام أمره قد انكشف ، فقد فشل نشاطه وأصبحت أنيابه لا تصلح إلا لمضغ الفراغ فيمكن تحطيمها فى وضح النهار. هذا هو ماعرضه على فى هذه الليلة حين ظننى عاجزاً عن التخلص من بين مخالبه ولكنه لم يكمل حملته . . .

(صمت)

ما افظع أن يكون الإنسان قاتلا ! يجد الإنسان نفسه بعد ذلك وقد أصابه البله واحتقنت عيناه بالدم، وأصبح رأسه خاوياً فيشعر نحو نفسه بحق باشمئزاز شنيع، وينحى باللائمة على غضبه وغرائزه الحيوانية، ويحس أنه سكران ظمآن . . . سكران من فرط الذهول ، وظمآن ليعب حياة كامله كالتى أزهقها، يتمنى أن يشربها فى جرعة واحدة وسط هذا الأعصار ، ويضخم فى نظره كل شىء ويعظم كل أمر .. ثم ينبلج النور ويصبح الصباح فيسير المرء نحو الضياء ليخرج من هذا الكابوس بتؤدة كما لو كان خارجا من قبر . . . وحينئذ يعاوده ثباته فجأة ويخيم عليه سلام لطيف ، وهكذا لبست ردائى كما أفعل فى كل يوم ،

فشعرت به خفيفاً مريحاً كما لو كان يكلمنى، وسرى فى
نفسى شعاع من نور، وأيقنت أنى هنا فى ميدانى الحربى،
وإذا كان الحارس يؤدى واجبه باطلاق النار، اطبقت
أنا كلتا يدى فلم أكن اذن قاتلا بل كنت الجيش، فهو
الذى أصدر فى أثناء المعركة حكما عسكرياً دون اجراءات
قضائية ، وهذا من حقه . نعم لقد هويت إلى القاع
ولا بد من ضياعى ولكن لا حساب لحياة فرد ، أى فرد . .
فقد نفذت أمراً صدر إلى وأنا الآن مستريح الضمير .

بوكور : ولم تنادِ احدا ! ولم تسرع إلى فى مكانى ! لماذا ؟ لماذا ؟

فيلت : آه لماذا ؟

(حركة تدل على الملل ، ثم)

أنت تعرف أن أمثالى من الرجال لا معنى لوجودهم سوى
الحلم الكبير الذى حملوه على أكتافهم وهو عذرهم فى
كل ما يعملون . فأنا لا أعيش من أجل نفسى ، بل من
أجل فكرة . .. وكم كنت أريد أن أعبر لك عن هذه
الأحاسيس دون أن أستعين بالانشاء والاسلوب الجميل
نعم كنت أريد أن أعبر عنها فى كلمات عادية ، كما أشعر
بها تماما ، ولكن الجنود كما تعلم ما زالت أفواههم ملأى
بكلمة الوطن . . . أنها جزء من مرتبهم الشهرى وقد
أردت أن يكون وطنى قوياً مستعصيا على الهجوم

عليه ، قابضاً على دقة السلام بيديه . وفى سبيل ذلك وضعت مشروعات كثيرة ، أنت تعرفها ، مشروعات واسعة محددة ! آه ما أعظمها لو نفذت بحذافيرها ! قضيت فى تحضيرها عشرين عاما . واصلت فيها الليل بالنهار، نعم قد يكون الزمن الذى انفقته فى هذا السبيل طويلا ، ولكن النتيجة كانت مضمونة، ولم يبق على نهاية التنفيذ إلا بضع سنوات . كل هذا يسقط معى ، لأنى أعدمت مجرما . فما اكبر المصيبة ! ولذلك فانى فى أول الأمر أردت أن أقاوم رغما عن الصدمة وكدت أنجح . ولكن لم ألبث أن عادت لى سكينتى ، فعلمت بأن قواى تقف عند هذا الحد . فوقفت لأنى لاأستطيع الغش والمخادعة، ولا أجيد لعب الأدوار التمثيلية . لا لا أستطيع ذلك ، مهما كانت الأحوال فليكن مايكون !

(صمت)

بوكور : (باذلا مجهوداً ضخماً للتغلب على نفسه) فيلت ! أقدم لك اعتذارى أرجو أن تقبله

فيلت : (ينظر إليه ثم يقول ببساطة) شكراً (تمر برهة، ثم ينهض قائما) والآن أريد أن أضرب لنفسى مثلا فى الشجاعة ولى طلب أريد أن أوجهه إليك .

بوكور : !! طلب لدى !

فيلت : نعم موضوع هـــذا الطلب هو بياتريس . قد رأيتها ولاحظت أنها الآن ليست سوى طفل ، طفل مسكين حائر تحرقه نار الحمى ... بعد بضع دقائق سأقدم نفسى للقضاء وهى تحس ذلك، ولكنه سيكون بالرغم من ذلك ضربة قاصمة لها . مسكينة ! مسكينة بياتريس ! فهى قلقى الوحيد منذ هذا الصباح ، منذ أن اتخذت قرارى لأنها ستصبح وحيدة بكل ما فى هذه الكلمة من شناعة ، وتصير هـــدفاً لكل ضروب السفالة ! . . وأن قلبي لينفطر كلما فكرت فيها ! . وإنى أؤكد لك ، يابوكور بشرفى العسكرى أنى ألعن ذلك الإندفاع المحموم الذى ألقى بها بين ذراعى من جديد ! لأنه كان فى وسعها أن تحبك وأن تنساني ، فتجنب نفسها آلاماً جساما .. آه ! ما كان أجمل هذه النتيجة وأبسطها ! فى هذه الحالة كنت سأظل وحيدا كما تعودت دائماً بدلا من أن أجرها معى إلى الهاوية ولكن هذا ما كان ، وهذا ما يجب منعه بكل ثمن !

بوكور : (بصوت أجش) ولكنها تكرهنى الآن !

فيلت : هذا ما تعتقده هى ، وقد لا يكون مستحيلا .. ولكن لا تنس مقدار العرفان الذى يقدره المرء ليد تمتد إليه فى محنته ! . . وهناك أيضاً الطفل ابنى فلا شك

شيشب فى الألم والحرمان ، وأن كل العقبات ستوضع
فى طريقه بعد أن يكبر ! . . . فهذا كل ما أنتظره منك .
لقد أحببت هذه المرأة ولا تزال تحبها .. وأنت ذوسلطان
وجاه ، فيجب عليك أن تأخذ بيدها وترعاها . . تسندها
أولا فى الخفاء ، دون أن تشعرها بذلك . . . ثم تتقرب
إليها شيئا فشيئا . . . وسترى بعد ذلك كيف يتم لك كل
شىء . أما الطفل فهو جزء منها ، حملته فى أحشائها فاذكر
ذلك . كما أرجو أن تذكر أيضاً أن رجلا قوياً ذا سلطان
يمكنه أن يفعل الكثير لطفل فقدأباه . وقصارى القول..
(يقاوم انفعالا يكاد يخنقه)
قصارى القول ... أن ترعاها من بعيد . . . لا تغفل
عنها بعينيك دون أن تشعرها بذلك فى الأوقات الأولى
بوجه خاص. أنا لا أتردد فى أن أطلب منك ذلك، لأنى
فكرت كثيراً ، فوجدت ، أنه لم يبق لها سواك ... ولو
كنت مكانك لفعلت ما أطلبه منك

(بوكور لا يجيب كأنه لم يسمع فهو يركز كل
قواه حول فكرة ما) .

والآن وقد انتهينا فانى اتركك .

بوكور : (بحركة من يده لوقف فيلت) برهة . .
(يمشى ثم يرجع إلى فيلت)

فيلت يجب أن تلزم الصمت يجب أن لا تسلم نفسك

فيلت : (ارتجافة ، ثم يقطب جبينه) بوكور! أنى جدير بأن أعامل غير هذه المعاملة

بوكور : (بعصبية مركزة) لالزوم لكبرياء عقيمة ، لأننا فوق ذلك ! اطمئن فانى واثق من أنك قلت لى ماقلته، وأنت لا تضمر أى غرض خفى . . . ولكنك تحت رحمتى ولى عليك حقوق وأنا الآن آمرك ألا تسلم نفسك

فيلت : (بعد صمت مؤثر بنغمة فيها شيء من عتاب الجريح) بوكور !

بوكور : (بصوت لا يقبل الرد) آمرك أن لا تفعل وفكر جيداً فيما سأقوله لك . . . . اقسم لك بكل ما لدى من معانى الوفاء والصدق أن هذا الأمر ، لأنه أمر حقيقى ، ليس مبعثه أى تأثر عاطفى ، وأن لادخل لها ولا لك فيه .... ولكنك نطقت بكلمة قاطعة ، حاسمة نطقتها على غير شعور منك . . .

فيلت : أية كلمة ؟

بوكور : (بلطف) الوطن !

(صمت فيلت يفحص عينى بوكور بنظراته)

أتحسب أنك أنت وحدك من له الحق فى إعلانها ؟
انك تتوهم أنها احتكار لاشرطتك العسكرية وهذا خطأ ، خطأ جسيم . إن الوطن ملك لى كما هو ملك لك وملك لنا جميعاً

كما نحن كلنا ملك له . زن قولى هذا ، زنه جيداً ، كما قلت لك ، فكلنا ملك له وعلى الأخص أنا ، وعلى الأخص أنت ! لأننـــا مندوبوه المسئولون فلنترك إذن آلامنا الشخصية وأجسامنا البالية . وقد قلت أنت نفسك أن الفرد لا أهمية له فى حد ذاته ! فنحن باعتبارنا أفرادا لا اعتداد بنا ولا أهمية لنا وإنما الرسالة التى نؤديها فى سبيله هى التى يعتد بها ، والتى تحظى بكل أهمية وأنت لم تكمل رسالتك بعد ، ومن واجبك أن تقوم بهـا فى سبيل البلد ، فالساعة رهيبة والوطن محتاج لـكل القوى . . قوى بنيه ، ومجهودات رجاله كباراً وصغاراً وقد ألقى الوطن على عاتقى أن أرغمك على البقاء فى مركزك طائعاً أو كارهاً ، فلا مناص لك من طاعتى . فيلت هذه كلمات مقدسة ألقيت بها على سمعك ، ولا حاجة لى بعدها إلى شرح أو اطناب .

فيلت : (تحت سلطان صراع داخلى) لا أستطيع ! . لا أستطيع !

بوكور : (يذهب لدق الجرس) هذا ماسوف نحققه .

فيلت : بوكور !

بوكور : صه !

(يأتى جوستان بعد برهة حاملا معطف بوكور وقبعته)

جوستان : أتريد السيارة ياسيدى بوكور ؟

بوكور : كل شيء حاضر ؟

جوستان : نعم ياسيدى ، السواق فى الإنتظار

بوكور : حسنا ، ضع مامعك هنا

(مشيراً إلى الأريكة فيضع جوستان عليها الملابس)

ألم يزل السادة رجال النيـــابة فى الدور العلوى ؟ أليس كذلك ؟

جوستان : لافقد نزل حضراتهم إلى الحديقة من الجهة الأخرى

بوكور : أذهب وقل لرئيس النيابة إنى فى انتظاره هنا لأقول له شيئاً هاما

جوستان : أمرك ياسيدى .

(يخرج من باب الشرفة حيث يختفى)

فيلت : (مواصلا تفكيره) هذا إلى أنه لافائدة الآن ... فهؤلاء الناس فى غاية اليقظة . . . وقد استنتجوا كل شيء !

بوكور : لا أعتقد ذلك . ولكن لو صح هذا الأمر ، لكان هذا هذا هو المقدور ! وحينئذ فقط ، أحنى رأسى لما حكم به القدر

(بمجهود ، ولكن بعزم)

وحينئذ أيضاً اعتمد على فى شأن زوجتك وولدك

فيلت : (متأثراً) أشكرك يابوكور لى كلمة أخرى ، ذلك أنى لن أستطيع انكار الحقيقة لو وجهت إلى التهمة ، وأزيد على ذلك أنه لو اتهم برىء فلن أتأخر دقيقة بل ثانية عن ...

(يتوقف عن الكلام .. رئيس النيابة يظهر في الشرفة يقوده جوستان . يدخل)

المنظر الثامن عشر

(نفس الأشخاص . رئيس النيابة ثم بياتريس)

رئيس النيابة : هل أرسلتم في طلبي يامعالى الوزير ؟

بوكور : (بحزم) نعم ياسيدى .

(مشيراً إلى فيلت)

الكولونيل فيلت !

(رئيس النيابة ينحنى)

كم يشوقنى أن أعرف الطريق الذى واصلتم السير فيه فى تحقيقاتكم وسأخبركم بما يبرر تشوقى إلى معرفة ذلك .

رئيس النيابة : (فى قلق) يؤسفنى ، ياسيدى الوزير أن اضطر إلى الاعتراف لمعاليكم بحيرتنا التامة فى الوقت الحاضر ، وقد سبق ولاشك انكم دهشتم لعدم وجود أى قرينة مادية. ولذلك سنضطر إلى المسير فى طريق الاحتمالات والشبهات .

(تدخل بياتريس وهى قلقة مكفهرة الوجه من باب الشرفة بتأن ، وتظل واقفة على درجات السلم مستندة على الحائط وعيناها تشعان بالجنون)

بوكور : وهذا ما أخشاه أنا أيضاً ياسيدى ...

رئيس النيابة : ولكنا سنسير بحذر تام ...

بوكور : وماذا واجهتم من الشبهات ؟

رئيس النيابة : لا شيء يذكر .. فهـذا الخادم الشاب الذى استجوبتموه معاليكم هذا الصباح ، أرى من المستحسن اعتقاله مؤقتا .

فيلت : (متدخلا وهو يكاد ينفجر) آه ! هذا أمر لا يطاق ! (حركة فزع شديد من بياتريس . فيلت بصوت قاطع) ولكنى أؤكد أنه برىء !

بوكور : (بسرعة) وأنا أيضاً أؤكد ذلك . سيدى رئيس النيابة أرى أنه قد حان الوقت لأخبركم بما اقتنعت به إذ ليس من حق أن أترك النيابة تضل الطريق فى هذه القضية .

رئيس النيابة : لقد سبق أن قلت يامعالى الوزير أنه يسعدنا الإستنارة برأيكم ...

بوكور : هل فحصتم مكاتبات السيد جلوجو ؟

رئيس النيابة : لم نفعل حتى الآن . ولكنا استولينا عليها ووضعناها فى حرز .

بوكور : إنها هى التى ستقدم لكم مفتاح هذه الأمور ففيها ثلاثة

خطابات تهـــديد ستعلمون منها بين ما ستعلمونه من أشياء ، إن السيد جلوجو كان من قبل موظفاً سابقا بإحدى فرق البوليس السياسى الأجنبى ، وأنه كان يؤدى مهام وظيفته بقسوة بربرية لا حد لها ، وقد مات فى عهده كثيرون ضرباً بالســـياط كما نفى كثيرون ، وارتكبت فظائع أخرى جعلته هدفاً لانتقام حزب من الأحزاب وقد حدثت من مدة ...

رئيس النيابة : نعم نعم . محاولة لاغتياله بشارع ريشومير !

بوكور : هو كذلك ، وربما كان غيرهم ينتظر الفرصة المناسبة فوجدوا فى ابتعاد القصر ونوافذه المفتحة وكثافة الغابة المحيطة به وقرب الحدود فرصة سانحة لتنفيذ غرضهم فى هذه الليلة .

رئيس النيابة : (بشىء من الذهول) هذه وجهة نظر يامعالى الوزير ...

بوكور : (بسلطة زائدة) ولكنها فكرة مقبولة جداً . وستعتقد اعتقادى هـذا حين ترى الخطابات التى تحت يدك ، ولكن قبل ذلك هناك مسـألة هامة أريد أن ألفت نظرك إليها ، وهى أنه لما كانت هذه المسألة تمس علاقاتنا الخارجية ، فالرأى أن لا نناقشها علنا ، ومن الضرورى جداً أن نستشير الإدارة العليا فى طريقة السير فيها .

رئيس النيابة : إذا كان هذا هو رأيك يامعالى الوزير . . .

بوكور : رأيي القاطع، ياسيدى :

رئيس النيابة : (محترساً) أنا لا يهمنى إلا أن أخلى مسئوليتى .

بوكور : إذن سأتولى بنفسى وتحت مسئوليتى التامة إدارة السير في هذه القضية وسنذهب معاً إلى سان كلود ، فأكلم الوزارة بالتليفون ، وأذهب بعد ذلك إلى النائب العمومى لأتفق معه على كل شيء ، وسأكون الليلة مع وزير العدل .

رئيس النيابة : (منسحباً) كما تشاء يامعالى الوزير وسأخبر زميلى فوراً بذلك .

(وقبل خروجه نهائياً من الردهة)

ولكن هذا لن يمنعنا من كتابة محضر بما شاهدناه .

بوكور : طبعاً وسأوافيكم حالا !

(يخرج رئيس النيابة)

المنظر التاسع عشر

(بوكور ، فيلت ، بياتريس)

(سكوت يمسح بوكور فى حذر بيده على جبهته ، ويأخذ معطفه وقبعته من على كرسى مجاور ، ثم ينظر إلى فيلت ، وبحركة متحفظة لا تكاد ترى يمد هذا الأخير له يده .

ضغطة فيها بساطة ولكنها مؤثرة يتجه بوكور ، وهو شاحب اللون ، نحو الشرفة وحين يمر أمام بياتريس ، يبدو كأنها سترتمى تحت أقدامه وتقول بصوت خافت متمتمة)

بياتريس : مارسيل ! . . . سامحنى . . .

(يتردد بصورة لا تكاد تدرك ثم ينحنى أمامها ويذهب دون أن ينبس ببنت شفة)

ســـتار

ختام

تصحيح

الصفحه	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥	٣	القياس	القياسى
٢٥	٤	المـاء	المساء
٤٢	١٣	القسسين	القسيسين
٥٧	١٣	أصيج	أصيح
٥٧	١٨	تصميمه على	تصميمه فى

ملاحظـــة

لكل كتاب رقمان : الأول ، الرقم العام ، ويدل على رقم الكتاب في السلسلة وهو مكتوب على الصفحات الأولى وعلى كعب الكتاب ، بين اسم الكتاب واسم المؤلف .

والثانى : الرقم الخاص ويدل على رقم الكتاب من حيث الموضوع وهو مكتوب على الغلاف عند أسفل الكعب .

صدر من كتب الأدب
من مجموعة الألف كتاب
(أدب عام ، تاريخ الأدب ، نقد ، شعر ، قصص)

---

١ — كفاح الأحرار تأليف أفلارتى

٢ — الأحمر والأسود (جزءان) « ستاندال .

٣ — الحاج مراد « تولستوى .

٤ — عذراء اللورين « مكسويل أندرسون .

٥ — أساطير من الأمم المتحدة « فرانسيس فروست .

٦ — الأدب المقارن « م . ف . جويار .

٧ — القوة والمجد « جراهام جرين .

٨ — توم سوير « مارك توين .

٩ — أعلام الفن القصصى « هـ . ل . توماس .

١٠ — بين العمل والأمل « جينى لى .

١١ — مكتب البريد « تاغور .

١٢ — الأشباح « هنريك إبسن

١٣ — مختارات من المسرحيات القصيرة .

١٤ — مختارات من القصص الإنجليزية القصيرة .

١٥ — تاريخ الأدب اليونانى للدكتور محمد صقر خفاجه .

١٦ — تاراس بولبا تأليف جوجول .

١٧ — كفاح تأليف جون جالسورثى .

١٨ — إيسوب » ا . د . وينتل .

١٩ — الزوجة الاولى » بيرل بك .

٢٠ — دنيا المصالح » خسنتو بنفنتى .

٢١ — رحلة إلى الهند » فورستر .

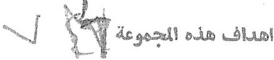
٢٢ — الرجل الذى لم يوجد » أيوين مونتاجو .

٢٣ — مختارات من المسرحيات القصيرة »

٢٤ — نهاية السكير » هانس فالادا .

٢٥ — الجريمة والعقاب (جزء ١) » ديستيو فسكى .

مطبعة نهضة مصر
الفجالة - القاهرة



اهداف هذه المجموعة

* تكوين مكتبة عربية متكاملة ، يجد القارىء العربى فيها كل ماهو بحاجة اليه من المعلومات فى شتى الموضوعات ، معروضة عرضا سهلا ، يتقبله القارىء العادى ، ويجد فيه المتخصص الحقائق والنظريات والآراء مبسوطة بغاية الدقة ، متمشية مع آخر ماوصل اليه العلم فى تلك الموضوعات .
* نشر هذه المكتبة فى أوسع نطاق ممكن ، وذلك بتخفيض السعر قدر الامكان ، واشراك أكبر عدد من الناشرين فى نشرها .
* النهوض بالكتاب العربى من حيث الشكل والموضوع .
* تشجيع عادة اقتناء الكتب وقراءتها .
* الافادة بصورة عملية من جهود العلماء والادباء فى شتى الأمم ، باتاحة الفرصة أمام القارىء العربى للاطلاع الواسع على ماعندهم .
* افساح المجال امام الشباب الطامح الى الاشتغال بالعلم والأدب للمساهمة بصورة ايجابية فى النهضة العلمية والادبية .
* تشجيع الناشرين فى مصر والدول الشقيقة على الاقبال على نشر كتب العلم والثقافة العالمية ، وتعويضهم تعويضا مجزيا .
* تجديد النشاط الفكرى فى العالم العربى عن طريق الكتب القيمة التى تحمل اليه العلم والمعرفة .



نشرته مكتبة نهضة مصر